

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي

أ.د. طه جابر العلوانبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين نستغفره ونستعينه ونستهديه ونصلي ونسلم على رسول الله
وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم لقاءه ثم أما بعد:
فسلام الله عليكم جميعًا ورحمته وبركاته إخوتي عبد الحميد وأحمد وجمال وهشام وأنور
ويعقوب.

عدم مساعدة صحي علي أن أكون بينكم في هذا اللقاء جعلني أشعر بأن علي أن
أقدم لمن استضيفتموهم شيئًا، كنا جميعًا أنتم وأنا نرغب أن نقدمه تلخيصًا محرزًا لمسيرة المعهد،
وأشعر أن الله -تبارك وتعالى- كأنه كان معي يسدد قولي ويرشد قلبي لأكتب هذه التجربة
بالإيجاز والدقة التي ستلمسونها - بإذن الله- في عباراتي وأسطر هذه الورقة التي أرجو أن
تكون معبرة لا عن خبرتي ومشاعري وحدها بل عن مجموعكم ولو بمستويات أقل؛ لذلك
أرجو أن تطلعوا أنتم عليها قبل أي أحد وأن تقرؤوها بالعناية التي تستحق وأن توافقني إن
رأيتم بما ترونه دون إدخال أي تعديل أو تغيير على شيء أوردته إلا على مستوى التوثيق
والتصحيح وما يمكن أن يزيد هذه الوثيقة قوة ومتانة. لقد تعمدت أن أشير إلى المواقف
المختلفة من مؤسسة المعهد لأنني رأيت أن هذه الورقة ستكون بديلاً أو رديفًا معززًا لورقة
نظم الخطاب أو إصلاح الفكر بين القدرات والعقبات وبدلاً من أن نترك تاريخ مؤسستنا
يُكتب بأقلام غيرنا فيضاف إليه أو يحذف منه رأيت أن أفعله بنفسني وأرجو أن تشرح
صدوركم لقبول ما ذكرت، فالمؤسسة ليست ملكاً لنا وسنكون بين يدي الله عن قريب ولا بد
أن تعرف الأجيال القادمة وخاصة أولئك الذين تعتبرونهم الواعدين ما صادفته هذه المؤسسة
وصادفها. رأيت أنه لا بد من ذكر كل ما ذكرت أرجو أن تنال منكم من العناية ما تستحق
وأرجو من الأخ جمال بالذات وهشام أن يقوموا بتوثيق ما لم استطع توثيقه وألا تعاد إليّ إلا
وقد تمت خدمتها وتوثيق كل شيء فيه وأعدت للطباعة والترجمة بإشراف جمال خاصة ثم
ارتياح بقية الإخوة لذلك، أرجو أن أكون قد قدمت للمعهد ولاجتماعكم هذا أفضل ما
يمكن تقديمه غبت أو حضرت، حفظكم الله ورعاكم وأرجو إن رأيتم أن يقوم الدكتور جمال
والدكتور هشام معاً بعرض هذه الورقة على الحضور ومناقشتها وإثراء النقاش حولها في كل ما

عرضته وموافاتي بملخص دقيق لتلك المناقشات بكل تواضع أقول لكم إنها ورقة عمل صادرة من القلب إلى القلوب حفظكم الله ورعاكم ومن علينا جميعاً بالصحة والسلامة والعفو والعافية وجعل خير أيامنا يوم لقاه وخير أعمالنا خواتمها والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم طه جابر

المعهد وتجربتي فيه

بقلم طه جابر العلواني

نشأة المعهد:

دروس وعبر:

لم ينشأ المعهد من فراغ ولا عن فراغ، بل كانت هناك ظروف تاريخية ومعاصرة، ودراسات تحليلية لحالة الأمة المسلمة وواقعها، وعجز كثير من حركات الإصلاح عن بناء مشروع نهضويّ تجديديّ فاعل قادر على وضع الأمة على طريق النهوض!! وإذا كان احتكاك الأمة المسلمة بالغرب، وصدمة حضارته لها جعلتها ترى حجم التحديّ الغربيّ للأمة على حقيقته، خاصة بعد دخول نابليون مصر. فإنّ طرق الاستجابة لذلك التحديّ تنوعت وتعدّدت بتنوع فصائل الأمة وتعدّدها؛ فهناك من أصابه الانبهار وهو يرى حجم التحديّ فاستسلم له واستلب. وحصر مشروع الإحياء والتجديد والنهوض بتقليد الغرب تقليدًا متقنًا بقطع النظر عن أيّة فوارق بين أمتنا وبينه، وبين خصائصه وخصائصنا الذاتية. المهم "إتقان التقليد".

ومعظم مشاريع "التحديث" في بلادنا المسلمة المختلفة انطلقت من هذا المنطلق القائم على التبعية والتقليد. ولذلك فقد أثبتت مختلف أساليب القهر والإكراه والتعسف لفرض "الحداثة الغربية" شكلاً وموضوعاً على الأمة فكان من الطبيعيّ أن تبوء تلك المشاريع - كُلهما - بالفشل. وأن تزيد الأمة تخلفاً وتفككاً فلم تأت بالحداثة ولم تحققها ولم تحافظ على ما كان من بقايا مجتمعاتنا التقليديةّ وبنائها ومؤسّساتها الموروثة. وفي إطار الرغبة في تقليد الغرب، ونقل الحداثة ألقى الآلاف من أبناء المسلمين في المدارس الغربية التي نثرت في مختلف حواضر العالم الإسلاميّ لتكوين نخب بديلة، وبناء قواعد للتحديث، وتشكيل طاقات محلية

من أبناء البلاد المستعمرة تحرس عمليّات التحديث، وتواصل تعميقها، وتؤكد سبل الاستلحاق والاستتباع الخارجيّ لبلاد المسلمين، وصنّاع القرار فيها!!

كما أنّ موجات الانقلابات العسكريّة والأوضاع التي ترّبت عليها، واضطهاد شرائح كثيرة من الشعوب، خاصّة الشرائح الإسلاميّة بعد اختلاف عبد الناصر مع الإخوان المسلمين في مصر، وامتداد نفوذ عبد الناصر ليغمر كثيراً من البلدان العربيّة والإسلاميّة وبلدان العالم الثالث، كان ذلك من العوامل التي دفعت إلى مغادرة كثيرين لبلدانهم واستقرارهم في بلدان غربيّة. يضاف إلى ذلك، التطورات التي حدثت في فلسطين بعد أن قامت على أرضها دولة إسرائيل. على أنّ هجرات المسلمين إلى الغرب وبخاصة أمريكا قد سبقت تلك الظروف والأوضاع بكثير وهي أحوج ما تكون إلى دراسات متعمقة تعتمد على رصد كثير من القضايا المختلفة للكشف عنها خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية. حيث يظهر رأيان رأي يؤكّد أنّ المسلمين وصلوا أمريكا قبل كولومبس^(١)، وقد عزز هذا الرأي بما يلي:

أولاً: ما نقل عن كولومبس لدى من كتبوا عن رحلته ونقلوا ذكرياته من أنّه شاهد عند وصوله الأرض الأمريكيّة مسجداً قد بني على قمة جبل بزخارف أندلسيّة.

ثانياً: عثر علماء الآثار الأمريكيان على بقايا مساجد في كل من المكسيك وتكساس ونيفاذا.

ثالثاً: عثر على بقايا مدارس إسلاميّة استدل على إسلاميّتها بوجود كتابات قرآنيّة وزخارف إسلاميّة.

رابعاً: يستأنس البعض لهذا الرأي كذلك بوجود أربعمئة وأربعة وثمانين اسماً لولايات ومدن وقرى أمريكيّة مماثلة لأسماء مدن وحواضر إسلاميّة: مثل بغداد ودمشق والاسكندرية ومكة والمدينة وفلسطين وما إليها.

(١) راجع العرب قبل كولومبس صفحة ٥ إلى ٧ طبعة دار القلم دمشق، وكتاب الأقليات المسلمة في الأمريكتين والبحر الكاريبي العدد ٤٤ من سلسلة دعوة الحق تأليف سيد عبد المجيد بكر صفحة ٧ إلى ٨، وكتاب الأحكام الشرعية النازمة للعادات الاجتماعية للأقليات المسلمة في أمريكا رسالة ماجستير لعمار منذر قحف، نوقشت سنة ٢٠٠١، وكتاب مشاركة المسلمين في الانتخابات الأمريكية وجوبها وضوابطها الشرعية تأليف صلاح الدين عبد الحميد سلطان وتقديمنا صفحة ١٧، طبعة سلطان للنشر الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤ ميلادياً.

خامسًا: أشار دكتور "irving" لوجود عادات وتقاليد موروثية عن المسلمين الهنود الأمريكيين وبعض الوثائق التي وردت فيها "بسملة" أو عبارات "الحمد لله" أو نحو ذلك، وعزز ذلك باحثون، آخرون منهم داوود زوينج.

سادسًا: هناك آثار مكتوبة على الصخر في تسعين موقعًا في أمريكا الجنوبيّة والوسطى كتبت بأحرف من لغة الماندنج بغرب أفريقيا.

سابعًا: العثور على عملات معدنيّة عربية ضربت سنة ٨٠٠ هجريًا في بلاد أندلسية.

ثامنًا: أشار المسعودي في مروج الذهب في أحداث ووقائع سنة (٣٣٩) هجريّة الموافق لسنة (٩٥٦) ميلادية إلى كتاب له بعنوان "إكبار الزمان"^(٢) أشار فيه إلى رحلات مسلمي قرطبة عبر المحيط الأطلسيّ الذي كان العرب يطلقون عليه بحر الظلمات.

تاسعًا: هناك وثائق كثيرة جدًا في الولايات المتحدة منها عقود بيع وشراء ورهن وما إلى ذلك كتبها المسلمون الأفارقة الذين اختطفوا من بلدانهم قسرًا ليزرعوا في العالم الجديد فكانوا يكتبون صكوك ووثائق معاملات البيع والشراء لأسيادهم التي يحمل بعضها "بسملة" أو حمدلة" أو كلمات تشير إلى أنّ من كتبها ينتمي إلى الإسلام. كما أنّ كولومبس حدثه بعض الهنود الأمريكيين عن علاقات تجارية سابقة لبعضهم مع بعض البلدان الأفريقيّة.

عاشرًا: ما أكده الدكتور مايك أستاذ التاريخ الأمريكيّ في جامعة سنكس في محاضرة أقيمت يوم (٦ / ٤ / ٢٠٠٢) في مؤتمر الجامعة الإسلامية في متشجن أنّ أول كلمة سمعها كولومبس عند وصوله الأرض الأمريكيّة كانت "السلام عليكم" وأنّ الأستاذ المذكور لديه أدلة على ذلك^(٣).

حادي عشر: هناك رحلات كثيرة حصلت لعبور المحيط أو بحر الظلمات بعد الفتح الإسلامي للأندلس ووصول طارق بن زياد للمضيق المعروف، وبعض هذه الرحلات انطلقت من مصر واستخدم فيها أطواف الخشب وقدرت مسافة الرحلة من خروجها من ثغر الأسكندريّة حتى بلوغها الأرض الأمريكيّة بثلاثة شهور ونصف على وجه التقريب.

(٢) انظر مروج الذهب للمسعودي

(٣) وراجع كتاب صلاح سلطان مشاركة المسلمين في الانتخابات الأمريكية بتقديمنا صفحة (٢٠).

مراحل الوجود الإسلامي في أمريكا:

ويقدر المؤرخون أن الوجود الإسلامي في أمريكا قد مر بمراحل أربعة:

المرحلة الأولى: من سنة (١١٥٠ - ١٧١٧م) (٥٤٥-١١٣٠ هـ) وهي الهجرات الأولى لمسلمي الأندلس وغرب أفريقيا والهنود قبل كولومبس وبعده.

المرحلة الثانية: من (١٧١٨ - ١٨٦٢م) (١١٣١-١٢٧٩ هـ) وهي المرحلة التي عرفت بمرحلة تجارة العبيد حيث كان الأفارقة المسلمون يتصيّدونهم التجار البيض من بلدانهم بواسطة وكلاء وعصابات مستأجرة لهذا الغرض ويشحنونهم مستخدمين الحبال والنيران والتهديد والقتل إلى العالم الجديد. وقد نقل في هذه المرحلة إلى أمريكا ما لا يقل عن ثلاثة ملايين من الأفارقة معظمهم من المسلمين. ويمكن الرجوع إلى الكتاب المشهور "Roots"^(٤).

(٤) محور الكتاب يدور حول أفريقي أمريكي يبحث عن جذوره ويحاول الوصول إلى هويته وهو: كونتا عمر كنتي .. الأفريقي الذي تحول لأسطورة.

في بداية ربيع ١٧٥٠م ، وفي قرية "جوفور" على مسيرة أربعة أيام من ساحل جامبيا في غرب أفريقيا ولد طفل ذكر لـ "عمر" Omaro وهو كونتا كونتي.

تلك كانت مقدمة رواية "الجذور" "Roots" للكاتب الأمريكي إليكس هايلي (١٩٢١ - ١٩٩٢م) الصادرة عن مكتبة مدبولي في ٧٣٠ صفحة من الحجم المتوسط، والجذور هي ملحمة عائلة أمريكية غير عادية لرجل يبحث عن أصوله، يحكي فيها إليكس قصة حياة جده الأفريقي كونتا كنتي وكيف تم أسرهم بواسطة تجار العبيد وبيع في أمريكا ، صدرت هذه الرواية عام (١٩٧٦م)، وترجمت إلى ٣٧ لغة وبيع منها أكثر من ٥٠ مليون نسخة وأصبحت أساساً لمسلسل تليفزيوني حمل نفس الاسم حقق نجاحاً كبيراً.

كشفت الجذور عن الطريقة الممجية التي مارستها أوروبا في اصطلياد الأفارقة وبيعهم كعبيد في أوروبا وأمريكا للعمل بالسحرة في مزارع العبيد دون أن ينالوا أي حقوق آدمية. ولنقرأ سوياً في أحداث الرواية: فرح "عمر" بميلاد ابنه كثيراً، واختار له اسم "كونتا" وهو اسم جد الطفل "كايرابا كونتا كنتي" الذي جاء من موريتانيا إلى جامبيا حيث أنقذ أهل "جوفور" من المجاعة التي حطت بقريتهم نتيجة القحط والجفاف ، وكان كل شيء يموت ويفني، ووقع المزيد من الناس مرضي، وترك البعض الأخر القرية هرباً حتى أرشد الله خطوات الولي الصالح "كايرابا كونتا كنتي" إلى القرية فإنقاذها من الجوع.

عاش كونتا مع أسرته حياة هادئة، وعندما بلغ كونتا السن التي تؤهله للعمل خرج لرعي بعض الماعز لوالده. بعد الرعي كان يذهب لكتاب القرية لحفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية.

كونتا في الأسر

المرحلة الثالثة: (١٨٦٢ - ١٩٤٥ م) (١٢٧٩-١٣٦٥هـ) وهي مرحلة هجرات
جماعية للمسلمين من أنحاء مختلفة من الدولة العثمانية وغرب أوروبا للبعد عن أماكن
الاضطرابات السياسية والهزات الاقتصادية التي حفلت بها المنطقة، وأن معظم هؤلاء المهاجرين

في يوم من الأيام صلى كونتا صلاة الفجر وأخذ نفسا عميقا وانطلق نحو المجرى المائي بسرعة ومعه كلبه
"الوللو" من أجل البحث عن خشب في الغابة يصلح كإطار لطبلته. سمع كونتا رفرقة حادة للجناحين ، تبعها صياح ببغاء
فوقه ، واستدار الصبي ليشهد عددا من البيض يحاولون اقتياده ، حاول المقاومة غرس أسنانه في لحمهم وأدخل أصابعه
في عيونهم ، ولكن أحدهم هوى بفرع الشجرة على رأس كونتا، اخذ - رغم الدماء التي تسيل من رأسه المشقوق -
يحاول الهرب ، ولكنهم أوسعوه بالضرب الوحشي وتمكنوا منه ، إنه يقاتل الآن من أجل أكثر من حياته من أجل عمر
وأمه بيننا وأشقاؤه.. اصطدم فرع الشجرة برأس كونت أصبح كل شيء اسود.

استيقظ كونتا ليجد نفسه نائما على ظهره بين رجلين آخرين في حفرة من الظلام ، كان كل جسده كتله من
الأم والضرب الذي تلقاه لمدة أربعة أيام.

الوصول لأمريكا

وصلت السفينة لورد ليجونيار Lord Lingonier إلى ميناء أنابوليس في ٢٩ سبتمبر ١٧٦٧ ،
سيطرت على كونتا فكرة الهرب لكنه تذكر صوت مدربه في معسكر الرجولة: الرجل الحكيم من يتعلم من الحيوانات
التي تقع في الأسر فتبدو أنها استسلمت حتى توفر طاقتها وفي الوقت المناسب تلوذ بالفرار من صيادها. وبالفعل حاول
كونتا الهرب أكثر من مرة آخر مرة قطعت مقدمة قدمه كعقاب له للهرب.
وتكشف رواية "الجنود" عن المعاناة التي قاساها الأفارقة في ظل العبودية ، يقول إليكس : "كانت كل القوانين في
أمريكا تصب ضد مصلحة السود، فإذا ضبط أبيض زنجي يحاول الهرب يمكنه أن يقتله ولا عقاب عليه ، ولا يسمح
القانون للزواج بحمل السلاح أو حتى عصا، ويقول القانون عشرين جلدة إذا تم إمساك أسود دون تصريح سفر، وعشر
جلدات إذا نظر إلى البيض في عيونهم، وثلاثين إذا رفع يده ضد مسيحي، ولا جنازة لزنجي حتى لا تنقلب لاجتماع،
ويقول القانون تقطع أذن الزنجي إذا أقسم الناس البيض أنك تكذب والأذنان إذا ادعوا أنك تكذب مرتين، والقانون
يقول إذا قتلت ايضا تشنق وإذا قتلت زنجيا آخر تجلد" وهكذا تستمر علميات القهر والاستعباد إلى أن يحين وقت
الحرية.

وأخيرا الحرية

في ١٨٦١ اندلعت الحرب الأمريكية بين الولايات الشمالية والولايات الجنوبية التي تمسكت بالحق في استعباد
الأفارقة، أسست هذه الولايات ما سمي الولايات الكونفدرالية الأمريكية وأعلنت انفصالها عن باقي الولايات الشمالية .
وفي ١٨٦٢ أصدر لنكولن إعلان تحرير العبيد جاعلاً من تحرير العبيد في الجنوب هدفاً للحرب، وسرى الخبر كالوميض
بين ملايين الزوج في الجنوب. وأخيرا في ابريل ١٨٦٥ استسلم الجنوب وخرج الزوج يقفزون هنا وهناك ويرقصون
ويصيحون ويغنون صلاة الشكر لله. وهكذا انتصر كونتا أخيرا على جلاديه.

كانوا من الطبقات المتوسطة وما دونها وكثير منهم كانوا من عمال بسطاء، من أولئك الذين يلمون بالعودة إلى بلادهم بعد الاطمئنان إلى عودة الأمن والاستقرار إليها، وبعد حيازة العامل منهم على قدر وافر من المال.

المرحلة الرابعة: من (١٩٤٥ م) (١٣٦٥ هـ) وهي مرحلة ما تزال مفتوحة حتى الآن. وهي المرحلة التي ينتمي إليها مهندسو المعهد وبعض رجاله كالفاروقي، وهي المرحلة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية وهي مرحلة اتسمت بنزوح كثير من أذكفاء المسلمين إلى الغرب وخاصة أمريكا بحثًا عن ميادين العلم والتخصص وطلبًا للحرية ورغبة في الكسب المادي في بعض الأحيان وساعد على ذلك تلك الأوضاع المتردية في بلاد المسلمين والتي لم تكن كثيرًا في المحافظة على أذكفاءها وأبنائها والقادرين على العطاء العلمي فيها. ومع أنها أسست جامعات كثيرة وربما مراكز بحوث لكنّها لم تكن بالقدر الكافي بتلك الجامعات ومراكز البحوث بحيث تتجاوز حواجز تخلفها بقدرات وطاقات أبنائها ولو أنها فعلت ما فعلته اليابان لحققت ما كانت تتمناه لكنّها تركت الأمور إلى غير تنظيم أو مبالاة ففقدت أهم ثرواتها وهي أذكفاء أبنائها. وقد استقر آلاف ربما صاروا الآن ملايين من أبناء الأمة الإسلامية في أوروبا وأمريكا الشماليّة خاصة بعد أن عيّنت أمريكا نفسها وارثًا للاستعمار الإنجليزي الفرنسي البرتغالي وغيرها لبلدان العلم الإسلامي وبدأت تخرج من عزلتها بعد الحرب العالمية الثانية. فقد هاجر ما يزيد عن ثلاث وأربعين ألف مهندس وأحد عشر ألف طبيب إلى الولايات المتحدة ما بين (١٩٤٩ - ١٩٦١ م)^(٥) (١٣٦٩ - ١٣٨١ هـ). وهناك إحصائية أخرى تقول: إنّه ما بين عام (١٩٦٦ م) حتى سنة (١٩٧٧ م) (١٣٨٦ - ١٣٩٨ هـ) هاجر إلى أمريكا من الأطباء والمهندسين والكميائيين حوالي مئة ألف وتسعة آلاف ومئتين وثلاثة وخمسين عالمًا من العلماء العرب فقط^(٦)، وهناك تقارير صحفية عن هجرة الأدمغة وتكالييفها للخزائن العربية قدرت ما تخسره بعض البلدان من ثرواتها المادية من هذه الهجرات بما يزيد عن اثني مليار دولار سنويًا، وأنّ تسعين ألفًا من حملة الشهادات العالية من العرب هاجروا إلى

(٥) راجع كتاب الجنسية في الشريعة الإسلامية رحيل محمد الرحيل صفحة (١٥) رسالة ماجستير نوقشت في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية.

(٦) المصدر نفسه، انظر كتاب إيران من الداخل تأليف فهمي هويدي، وكتاب المشهد الثقافي في إيران مخاوف وآمال تأليف محمد خاتمي، وإيران في السياسة الدولية تأليف أرشين أريب.

أمريكا وكندا سنة (١٩٩٨م-١٤١٩هـ) وأن مئة وخمسين ألف هاجروا سنة (١٩٩٩م-١٤٢٠هـ) وزاد هذا العدد في سنة (٢٠٠٠م-١٤٢١هـ) بما يزيد عن ألفين وعشرة أشخاص. وتعتبر أمريكا أول دولة وأكثر دول العالم استقطابا للعقول المسلمة المهاجرة ويذكر تقرير للأمم المتحدة للتنمية البشرية في الوطن العربي للعام (٢٠٠٢م-١٤٢٣هـ) أنّ أكثر من مليون خبير قد هاجروا إلى الغرب، وبخاصة إلى أمريكا، وأنّ هذه الهجرة قد كلفت كلا من الدول الإسلاميّة التي ينتمي إليها هؤلاء المهاجرون ما يقدر ب "ثمانية عشر مليون" دولار في العام الواحد. وهناك أعداد كثيرة من الطلاب تتخرج في أمريكا وغيرها وتبقى فيها، وهناك إحصائيّة للبعثات الدراسيّة التي مولتها بلدان عربيّة وإسلاميّة، واستقرت في أمريكا خاصة. فأمریکا هي إمبراطوريّة العقول المستوردة. والذين درسوا فيه على حساب حكوماتهم وفي غيرها من البلدان الأوروبيّة ولم يعودوا إلى بلدانهم الأصليّة بلغت النسب التاليّة: تسعين بالمئة من اللبنانيين يقيمون حيث درسوا ولا يعودون إلى لبنان. واحد وثمانون وأثنان من عشرة من العراقيين يستقرون هناك ولا يرجعون. ثمانون بالمئة من الأردنيين يقيمون في أماكن تخرّجهم ولا يعودون إلى بلدانهم. ومن المصريين هناك سبعون في المئة من المبتعثين لا يعودون إلى بلادهم. ومن السعوديّين حوالي ثلاثة وثلاثين بالمئة يستمرون في الولايات المتحدة ولا يرجعون إلى بلادهم. وتعتبر بريطانيا ثم كندا الدولتان الأكثر استقطابا للعلماء المهاجرين بعد الولايات المتحدة. وخسارة الدول العربيّة الماديّة -وحدها- تزيد على مئتي مليار دولار بسبب تلك الهجرات.

وهناك إحصائيّة أخرى لافتة للنظر أنّ الأطباء الإيرانيين في نيويورك وحدها يزيدون عن عدد مجموع الأطباء في إيران نفسها. هذه النوعية المتميزة في العلم والذكاء والقدرة لا تتحول في المجتمعات الغربيّة إلى قيادات؛ لأنّها في الكثير الغالب تتألف من أصحاب تخصصات خدمات كالأطباء والمهندسين لا يكون لديهم تطلّعات قياديّة إلا في النادر. ولذلك لا تستطيع أن تجد سفراء في العالم الإسلاميّ من أبناء المسلمين على كثرة المؤهّلين منهم وحاجة أمريكا الملحة لإعطاء صورة جيّدة عن نفسها في العالم الإسلاميّ إلا سفيرا واحدا في فيجي!! كما لا تجد وزيرا من بين هؤلاء لأيّة وزارة. وللأسباب التي ذكرنا وغيرها وجدت نفسها تختار الولايات المتحدة بالذات للإقامة فيها.

أعداد المسلمين في أمريكا وأوروبا:

وقد اختلفت الآراء في تقرير عدد المسلمين في الولايات المتحدة الآن، وكذلك في أوروبا؛ لأنَّ المسلمين بالرغم من أنَّ غالبيتهم تعتبر من الطبقة المثقفة بالنسبة للمجتمع الأمريكي نفسه، ويمثّلون صفوة ونخبة فيه لكنَّهم على مستوى التنظيم لم يستطيعوا حتى يومنا هذا أن يصنعوا لأنفسهم مؤسّسات مدنيّة تعنى بمتابعة شئونهم كما هو الحال بالنسبة ليهود الولايات المتحدة وللكاثوليك وبعض الكنائس الأخرى فيها.

لقد كانت أمريكا وما تزال وكذلك أوروبا فرصة متميزة لإعادة بناء مفهوم "الأمة" والتخلّص من سائر سلبيات البيئات الإسلاميّة لو أنّ قومي يعلمون.

فما من بيئة في عصرنا هذا يمكن أن تساعد تلك النخب التي استقرت في الغرب على إحياء مفهوم "الأمة" المسلمة وإعادة بناءه بناءً قرآنيًا سليماً مثل تلك البيئات الحرة التي يمكن للمسلمين فيها أن يتخذوا من "تأليف القلوب" مدخلا يجمع بينهم دون أن يكلفهم إذابة خصائصهم وخواصهم، لكنني أقول -والأسى يملأ نفسي - : إنّه بالرغم من المستوى العالي للتعليم والثقافة لدى المسلمين في الغرب فإنَّهم متخلّفون جدا من هذه الناحية؛ فلقد رأيت مساجد وجوامع كثيرة في مختلف أنحاء الولايات المتحدة يختص بها عرق واحد أو مذهب واحد أو إقليم واحد فجوامع اختص بها الإخوة الباكستانيون فهم مؤسسوها وهم الإداريُّون فيها وإذا وجد سكان آخرون من عرب أو غيرهم فقد لا يجدون لأنفسهم مكانا بين هؤلاء الإخوة تجعلهم يشاركون بخبراتهم وقدراتهم في تحقيق رسالة المسجد بحيث يسمح لهم أن يكونوا جزءاً من إدارة المسجد أو مجلس إدارته، ووجدت مساجد خاصة بالعرب لا فرصة لغيرهم بالدخول إلى مجالس إدارتها ووجدت مساجد للأتراك ولأبناء جنوب شرق آسيا وغيرها. ولقد حاولت جاهدا خاصّة من خلال موقعي في المجلس الفقهي الأمريكي مقاومة هذه الظواهر السليبيّة وتغييرها بقدر الإمكان لكن ثقافة التخلّف التي صحبت تعايش كثيرا من الإخوة والأخوات المهاجرين حالت دون ذلك. لقد كانت تلك الثقافة من أخطر العقبات وأشدّها في وجه أيّ تغيير ولا أرى أن المجتمع المسلم في الولايات المتحدة خاصة بل وفي الغرب -كلّه- سوف يأخذ مواقعه الملائمة إذا لم يتخلص من تلك الفيروسات الثقافيّة المستصعبة، ويعود إلى مبدأ أمة مسلمة واحدة ينضم إليها كل من يقول لا إله إلا الله *محمد

رسول الله، ويتجاهلون تلك الخلفيات التي لم تأت لهم بأيّ خير في بلدانهم الأصليّة من تفرق مذهبيّ وإثنيّ وعرقيّ وطريقيّ ولغويّ وما شاكل ذلك.

الأقليات وإشكالية اللغة:

إنّ الأولى بالنسبة للُّغات أن تكون لمسلمي الأقليات لغتان: لسان القرآن لدينهم وانتمائهم الدينيّ، والإنجليزيّة لنشاطهم الدنيويّ وللتفاهم مع جيرانهم وأن تكون لهم مدارس لتخريج الأئمّة والمرشدين الدينيّين من أبناء المجتمع الأمريكيّ يتعلمون في هذه المدارس الإسلام بصيغته السليمة من مصدره المنشئ كتاب الله. ومن هدي رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يتعلمون ذلك على أيدي علماء قادرين ممن يعيشون في الغرب على تعليمهم ذلك بعمق وفقه وفهم ربايّن بعيداً عن الثقافة المذهبيّة والفرقيّة والطريقيّة التي حطمت مفهوم الأئمّة، وفرقت المسلمين في بلدانهم، ويفترض أن تحتفي أيضاً الصراعات الحزبيّة القائمة في بعض الأماكن في أمريكا وأوروبا بين حركات وفئات إسلاميّة من إخوان مسلمين وحزب تحرير وجماعة إسلاميّة وجماعة التبليغ والصوفيّة والسلفية وما إلى ذلك. فإذا كان هناك أيّ مبرّر أو مسوّغ لوجود مثل هذه الجماعات في المشرق، أو في العالم الإسلاميّ، فلا بد من البحث عن صيغ تجمعات أخرى تناسب البيئة واحتياجات المجتمع. أمّا الصيغة الحاليّة فهي تساعد على تفريق كلمة الأئمّة وإضعاف تأثير الوجود الإسلاميّ في الغرب. فلا بد للأقليات من أجندة إسلاميّة خاصة تربطهم ببيئتهم وجيرانهم ومجتمعهم وأن تكون أولويّتهم لقضايا بلدانهم تلك التي هاجروا إليها، فيهتمون بمجتمعاتهم الجديدة وبجيرانهم ويكونون في مقدمة الصفوف عند معالجة المشكلات المشتركة بحيث يقتنع جيرانهم ومواطنوهم والحاكمون في تلك البلدان بأنّ المسلمين يشكلون إضافة نوعيّة وهم بفضل الله كذلك. فهناك إحصاءات كثيرة تشير إلى ثقل المسلمين الكبير في كثير من الولايات المتحدّة وأوروبا وكندا ففي بعض الولايات الأمريكيّة نجد نسبة عالية من الأطباء المسلمين تتجاوز ثلاثين بالمئة أحياناً، ونجد في بعض الولايات والمؤسّسات نسبة عالية من المهندسين. وأذكر أنّي عملت مع بعض الإخوة في المعهد على إحصاء أعداد المسلمين من العلماء والمتخصصين في الولايات المتحدّة وبدأنا ذلك فأعدنا قائمة بلغت "تسعة آلاف أستاذ مسلم" في مختلف الجامعات الأمريكيّة، في مختلف التخصصات وتوقفنا عند ذلك الحد، ولم

نتابع ولم نغم بتحديد القائمة. وهذا الذي ذكرناه يدل دلالة واضحة على أمور عديدة أولاً: أن الوجود الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية وجود أصيل وقديم وله جذور عميقة في التاريخ الأمريكي ولو أن المسلمين أنفقوا على بعض الدراسات الجادة التي تؤصل وجودهم القديم في الولايات المتحدة وتثبت لكل من له اهتمام بهذا الأمر أصالة هذا الوجود وعراقته وضروة الاعتراف به لتغير الحال، ولأدرك المسلمون وغيرهم أهمية ذلك الوجود وضروة النظر إلى المسلمين على أنهم جزء لا يتجزأ من الوجود الأمريكي لا يمكن عزله أو استئصاله. إن هذا الوجود الإسلامي في أمريكا والدلالات المرتبطة به لو كان لأمة أخرى غير المسلمين لما كان لأحد أن يثير المشاكل بوجه المسلمين، ويظهرهم ويظهر الإسلام كما لو كان طارئاً على تلك البيئة. إن اليهود كان وجودهم متأخراً عن الوجود الإسلامي كثيراً ولكنهم استطاعوا أن يقنعوا كل فرد في أمريكا بأنهم شركاء مع الأمريكان في تأسيس أمريكا ديانة وثقافة ووجوداً. وعملوا ما استطاعوا إلى أن أصبحت شراكتهم ومواطنتهم في تلك البلاد على ذلك الجانب الذي نراه اليوم من التلاحم والقوة مما لا يحتاج إلى شرح أو إيضاح والوسائل التي اتبعوها متاحة -والحق يقال للمسلمين ولغيرهم- ولكن هناك من يعمل وهناك من يكسل.

نوعيّة الطلاب التي ينتمي رجال المعهد إليهم:

المهم أن هناك طلبة كثيرين تخرجوا وقرروا البقاء والتوطن في الولايات المتحدة وبقطع النظر عن خلفياتهم وانتماءاتهم السابقة لوجودهم في أمريكا فقد كان فريق منهم إسلاميين كانت لهم أهداف سامية في البقاء في الولايات المتحدة. من هذه الأهداف.

أولاً: تعزيز الوجود الإسلامي الذي سبق وجودهم واستقرارهم في الولايات المتحدة الأمريكية ومساعدة هؤلاء على استعادتهم هويتهم التي ذابت أو تكاد وإعادة هويتهم الإسلامية والعربية إليهم.

ثانياً: العمل على التعريف بالإسلام والمسلمين واستنصار الولايات المتحدة لقضايا الإسلام والمسلمين وتدعيم وجود إسلامي يستطيع أن يوظف نفسه في دفع الولايات المتحدة لمساعدة العالم الإسلامي في بناء نهضته واستعادة موقعه الحضاري، والتلاحم معه؛ لأن نهضته ستكون في صالح أمريكا من ناحية وفي صالح البشرية -كلها-.

ثالثاً: تعريف الأمريكيان بالإسلام والمسلمين وممارسة الدعوة لبناء شخصيّة مسلمة تتمثّل في المجتمع المقيم على أن يأخذ ذلك مستويات ومراحل عديدة، فالمستوى الأول هو المحافظة على الطلبة الوافدين بصفة خاصّة وهويّتهم الإسلاميّة وشخصيّتهم والحيلولة دون ذوبانهم في المجتمعات الأمريكيّة، على أن تكون المرحلة الثانية هي العمل على توطين الإسلام في الولايات المتحدة وتذكير أبناء الهجرات الأولى التي ذابت بهويّتها الإسلاميّة لتستعيد شخصيّتها، وتذكير الأمريكيان بالعلاقة الوثيقة بينهم وبين المسلمين عبر تاريخ الولايات المتحدة. لقد كان سلطان مراكش أول من اعترف ب"الثورة الأمريكيّة" وراسل جورج واشنطن. ولذلك بدأ هؤلاء الشباب الذين تأسس على أيديهم فيما بعد "المعهد العالمي للفكر الإسلامي" في محاولات الاستفادة من الحريّات المتاحة بتشكيل جمعيات متخصصة واتحادات للطلبة كان أهمها وأقواها "اتحاد الطلبة المسلمين" الذي تأسس بشكل بسيط ولكنه سرعان ما انتشر وأصبحت له فروع في أهم الجامعات الأمريكيّة بقيت تنتشر إلى أن أصبحت آلاف بعد أن كانت تعد بالعشرات وأصبح لها تأثير كبير في الجامعات وخارجها وعن ذلك الاتحاد وطموحات مؤسسيه وقياداته بدأت تتشكل جمعيات تخصّصية للأطباء وللمهندسين وغيرهم. ومن تلك الجمعيات كانت "جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين". وكان أولئك الشباب طاقات لا تهدأ ولا تتوقف عن العمل بل تعتبر إجازات نهاية الأسبوع ساعات عمل مكثفة ومواسم نشاط إضافية حتى استطاعوا أن يحققوا أهدافاً كثيرة كان نجاحهم فيها يغريهم دائماً بتأسيس المزيد، فنجحوا في المحافظة على مئات بل آلاف من هويّات الوافدين من أبناء المسلمين، ونجحوا في بعث وإحياء وتنشيط هويّات مئات أخرى من الذين أقاموا منذ فترات طويلة وتناسوا هويّتهم الخاصة، وبدأوا عمليّات اندماج وذوبان في المجتمع الأمريكي. وكانت عملية توطين الدعوة شغلهم الشاغل حتى استطاعوا أن يصلوا إلى أهداف مهمة.

جهود مع الإخوة الأفروأمريكان:

وربما كان من الإنجازات الهامة أن استطاعوا إنعاش الشعور بالهويّة لدى إخواننا الذين خطف آباؤهم وأجدادهم من أفريقيا ليزرعوا في الأرض الأمريكيّة. وفي فترة ازدهار نشاطات هؤلاء تم تصحيح عقائد كثير من أولئك الذين استعادوا هويّتهم الإسلاميّة بطريق **Elijah**

"Mohammed" "الأليجا محمد" حيث خلفه ولده (ولس) الذي اختاره -فيما بعد- أن يدعى وارث الدين محمد الذي دعى أتباعه وأتباع أبيه إلى اعتناق ما يعتنقه أكثرية المسلمين وسوادهم في العالم الإسلامي، وتجاوز تلك الآراء التي قد تفصلهم عن سواهم من المسلمين وأصبح عاملاً مهماً في تصحيح المسار. وحين توفي أبوه دعى كثير من أتباع والده من أولئك المتمسكين بالسبيل الذي عليه غالبية المسلمين، ونشطت بينهم حركة بناء المساجد وتدريب الأئمة وتنشيط الدعوة الإسلامية بين تلك الملايين الكثيرة التي كانت تزيد عن خمس وعشرين مليوناً من الجذور الأفريقية.

وقد تمكن هؤلاء الشباب من إيجاد نشاط محمود بين إخوانهم من الأفروأمريكان خاصة بعد أن اكتشف "Malcolm x" أو محمد شباز سبيل الهدى والتصحيح وبدأت عملية مراجعات في هذه الصفوف أفرزت قيادات جديدة بعد وفاة السيد "Elijah Mohammed" جعلت ولده وارث الدين يسلك نفس السبيل التصحيحي الذي سلكه قبله محمد شباز "Malcolm x" لمقاومة بعض المعتقدات المتطرفة التي تأثرت بظروف المرحلة الأولى التي كانت تحتاج إلى مثل تلك الأفكار لإيجاد العصية المطلوبة التي تسمح بتجمعهم. وفي الوقت نفسه قامت الجماعة الأخرى منهم وهي "جماعة أمة الإسلام" بقيادة الإمام لويس فرخان الذي اعتبر نفسه المسئول الحقيقي عن تراث "Elijah Mohammed" والمؤمن عليه والذي ربطني به صداقة وثيقة فيما بعد، وكان قد اتفق معي على أن يبتعث مجموعة من الأئمة عنده إلى المؤسسة التعليمية التي فتحتها في ليزبرج فرجينيا (of Islamic and social sciences) the graduate school وكان للرجل كاريزما وقدرات عالية في الخطابة وصلات وثيقة مع قيادات الأديان المختلفة بحيث استطاع أن يخرج مظاهرات مليونية تتجه نحو واشنطن من جميع أنحاء أمريكا فنأدى مرة لمظاهرة من مليون شخص شارك فيها ما يقرب من مليون وربع المليون. ونأدى بمظاهرة أخرى من مليون أسرة شارك فيها ثلاثة ملايين ونصف. ولا نعلم شخصية أخرى في الولايات المتحدة استطاعت أن تصنع هذا وهم -جميعاً- جزء لا يتجزأ من الوجود الإسلامي في الولايات المتحدة الذي يعتبر وجوداً غير مهاجر ويفتخرون بانتمائهم الإسلامي. وكان الشباب الذين أسسوا المعهد فيما بعد قد تابعوا ما يجري في محيط الإخوة من الأفروأمريكان

وخصصوا واحدا من كبار رجالات اتحاد الطلبة المسلمين هو الدكتور التيجاني أبو جديري ليتابع معهم وليزودهم ببعض الأئمة والدعاة ويعمل على ارتباطهم مع بقية المواطنين المسلمين. وأسس الشباب قبل تأسيس المعهد في إطار "اتحاد الطلبة المسلمين" و"جمعية علماء الاجتماعيات" لجنة للمتابعة كان لجهودها أثر طيب في تقرب وجهات النظر بين الفئات المهاجرة وبين الإخوة من الأفروأمريكان. لكن أهم مشاكل وعقبات كثير من التشكيلات التي جرت أو تجري بأيدي المسلمين هي عدم التخطيط الطويل المدى، وعدم الاستمرار وضعف عمليات المتابعة العلميّة الدقيقة وعدم وجود جهة محاسبة تقيس وتراجع وتحاسب وتتأكد من سير العمل بالطريقة المناسبة.

ولو أنّ قيادات العمل الإسلاميّ المهاجرة والمولودة هناك كانت على وعي تام بخصوصيات البيئة وجعلت من تحقيق إئتلاف متين بين المسلمين الأمريكيين سواء أكانوا من البيض أو من الأفروأمريكان إضافة إلى قيادات المهاجرين لكان المجتمع الإسلامي في أمريكا -الآن- أقوى أضعافاً مضاعفة عما هو عليه اليوم ولما استطاعت أصابع الاتهام أن تشير إلى المسلمين بما تشير به إليهم اليوم؛ ولو فعلنا ذلك منذ وقت مبكر لكان وضع الإسلام والمسلمين اليوم أفضل بكثير!! لكن ضعف هذا النوع من "الوعي الاستراتيجي" جعل الجزئيات الفقهيّة والكلاميّة موضع تركيز شديد لتعميق الاختلافات من ناحية والقضاء على إمكانيّات التضامن والتأليف بين القلوب وتوحيد المجتمع المسلم وراء أهداف محدّدة تخضع لأولويّات الإسلام والمسلمين في الولايات المتحدة وأوروبا. كما أنّ مسارعة بعض الحكومات في العالم الإسلاميّ إلى استثمار بعض عناصر الوجود الإسلاميّ في أهدافها السياسيّة وتوظيف بعضها في علاقتها مع الولايات المتحدة أدى إلى إدخال خلافات من نوع آخر بين مكونات المجتمع المسلم في الولايات المتحدة. ويمكن أن يضاف إلى ذلك حاجة بعض مؤسسات المجتمع المسلم إلى الدعم المالي جعلها تحامل الجهات المتبرعة، خاصّة تلك التي كانت تملك دعاة رسميين يتقاضون مرتباتهم من تلك الجهات. ذلك كله لم يكن يسمح بأن يكون للوجود الإسلاميّ قائمة أهداف متفق عليها، وأولويّات يلتزم الجميع بها بحيث يصبح لهذا الوجود قوته في المجالات الانتخابيّة وقدرته على ممارسة كثير من الأعمال بالمستوى المطلوب والمعروف في الولايات المتحدة الأمريكيّة. وما يزال الأمل قائماً بأن يلتفت المسلمون

كافة في الولايات المتحدة وفي الغرب عامّة إلى توحيد كلمتهم وحرص صفوفهم وتجاوز سائر شعارات التفرقة الموجودة في العالم الإسلامي ليكون لهم وزنهم في تلك المجتمعات. والحكومات والدول الإسلاميّة عربيّة وغيرها مطالبة بأن تعين ذلك الوجود على اجتماع الكلمة وحرص الصفوف والانصراف إلى مشاكل المجتمعات التي يعيشون فيها وعدم مطالبتهم أو تحميلهم مسؤوليّة الدفاع عن قضايا الاهتمام لدى تلك الدول والحكومات ويكون ما قد تقدمه من عون لمؤسسات المجتمعات الإسلاميّة في الغرب عوناً مجرداً غير مشروط أو مرتبط بأية منافع أو مكتسبات قد تكون تلك الدول في حاجة إليها. فالجتمع المسلم قد يحتاج إلى خمسين عاماً من الآن تنقضى فيه الأجيال المهاجرة، ويتولى الصدارة أبنائهم الذين ولدوا في تلك الأماكن وعرفوا ما فيها وأولوياتها ومشكلاتها وبعد ذلك قد يكون في الإمكان مطالبة تلك المجتمعات المسلمة بدعم ومساندة قضايا الأمة المسلمة في الخارج. وحول تلك المراحل وبعض ما جرى فيها أو بعض ما كانت تتسم به صدرت دراسات وأعمال أدبيّة كثيرة ساعدت في بناء وعي جديد بقطع النظر عن بعض الاختلافات. ذلك كله كان بعضه من إنجازات أولئك الذين وجدوا بعد فترة أنّ عليهم أن ينشؤوا مؤسسة للبحوث والدراسات تعنى بدراسات أزمات الأمة المسلمة واقتراح الحلول والمعالجات المناسبة لها فكان "المعهد العالمي للفكر الإسلامي" أو ما أطلق عليه في بادئ الأمر "الأكاديمية الإسلاميّة الدوليّة لخدمة القضايا الفكرية ومتابعتها" the international Islamic academy for Islamic thought.

لا شك أنّ المعهد في ظل ما ذكرناه كان نتاج مناقشات وأفكار عدد كبير من العلماء والدعاة والمفكرين وقيادات اتحاد الطلبة والأساتذة المشاركين في جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين والجمعيات المتخصصة لكن التنفيذ وإيجاد المؤسسة تم على يدي صفوة من هؤلاء تأثرت أكثر من غيرها بما تقدم وبأوضاع الأمة التي برزت في مرحلة التأسيس لتحمل هذه المجموعة على المبادرة وعدم التأخر إلى أن تأتي ظروف مثاليّة لأنّ من العسير في عالمنا الإسلامي وفي ظل ظروفه المعروفة وفي عوالم هجرتهم أن تأتي تلك الظروف المثاليّة. فتصدت هذه المجموعة وتحملت المسؤوليّة وأسست هذه المؤسسة. وهي هذه المجموعة التي عرفت فيما

بعد بمجموعة "المعهد العالمي للفكر الإسلامي" أو التي يتندر بعض الناس عليها بأنهم "أبطال فرجينيا".

من هم هؤلاء؟:

هذه المجموعة كانت مجموعة مباركة جمع الله بين قلوب أعضائها، وربط بينهم في فترة انتقالية من فترات تاريخ الأمة وفي لحظة تاريخية فارقة. كانت "الصحوة الإسلامية" قد أخذت مداها، وبلغت مستوى لا بد معه من التنفيس أو الانفجار وقد تم تنفيسها في موقع هام في جغرافية أمتنا لكنّه لم يكن الموقع الفاعل المؤثر في تفجير طاقتها على مستوى العالم الإسلامي، موقع يتقن مواقف المعارضة ببحرنة وتجربة تاريخيتين طويلتين ولا يتقن بنفس المستوى موقف الحكم، فتجربته في المعارضة أكثر ثراءً وأخصب. لقد كانت البؤرة التي اجتذبت الطاقات الدافعة للصحوة إليها هي "إيران"^(٧) فكانَّ إيران قد اختيرت بعناية لينفجر بركان الصحوة فيها. فإيران كانت تعاني من احتقان داخلي كبير تحت حكم الشاه والساواك. وإيران بلد آسيوي خليجيّ ذو موقع استراتيجي هام جداً. لكنّه من الناحية السكانية بلد تحول غالبية سكانه في نهاية القرن الميلادي الخامس عشر وما تلاه عن المذهب السني الذي كان سائداً إلى المذهب الشيعي، بدأت بمذهب شيعي هاديّ علويّ قليل الاختلافات مع مذهب التسنن المحمديّ. ثم تحوّلت إلى مذهب شيعي صفويّ على أيدي الصفويين ثم القاجاريين.

لقد انطلقت الدولة العثمانية بالراية الإسلامية بعد أن جمعت شمل معظم البلاد الإسلامية التي أصابها من الأهوال ما أصابها على أيدي الصليبيين ثم التتار.. وهيمن العثمانيون على حوض البحر الأبيض المتوسط، وبلغوا أواسط أوروبا، وحاصروا فيينا ودخلوا جانباً منها، وهددوا إيطاليا وكسروا شوكة أوروبا الشرقية. وبعد أن كان الصليبيون يجوسون خلال ديار الإسلام. صار المسلمون بقيادة العثمانيين يجوسون خلال الديار الأوروبية. وفيما هم منغمسون في ذلك إذا بثورة تقوم في إيران (١٩٧٩م - ١٣٩٩هـ) يقودها رجل صوفيّ صفويّ من سلالة صفي الدين الأردبيلي. وأعوانه استغل انحرافات واضطهادات حكام إيران

(٧) كتبت دراسات عديدة حول "إيران والإسلام"، منها: الإسلام وإيران

لكن ذلك -كلّه- لم يجعل من إيران "نقطة جذب" أو تفجير على مستوى العالم الإسلامي

السنة من بقايا الغزنويين للفلاحين الإيرانيين، واستطاعوا أن ينفذوا من خلال ذلك إلى وجدان الناس وقيموا حكومة صفوية على دعائم وجدانية وعقيدية أخذت تنادي بإبادة السنة في إيران، وتم بذلك استدراج الدولة العثمانية للدخول في نزاع مسلح مع جارها وبوابتها الخلفية إيران واستمر ذلك النزاع المسلح ما يقرب من ثلاثة قرون ونصف أنهكت فيها الدولتان، لتنتهي بتفكك الدولة العثمانية، وتأصيل العداء الطائفي ليقى سلاحاً قابلاً لأن يستعمله أعداء الأمة متى شاءوا.

ولذلك فإن إيران محملة بذلك الإرث الصفوي، وبآثار تلك الحروب الطويلة، وسائر ما تخلف عنها من آثار فكرية وثقافية لا تسمح لإيران بأن تقود العالم الإسلامي أو تتصدّر في عملية إحياء وتشوير وإنهاض شاملة. مهما خلصت النوايا. والعالم السني -أيضاً- محمل بتلك الموارث الاضطراعية التي أوجدت بين السنة والشيعة من الحواجز ما لا يمكن تجاوزه إلا بتضافر الأمة -كلها- وإيمانها بأن عليها أن تتجاوز الطائفية بكل أنواعها وتبني هدى القرآن: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ * وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ * قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ * أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٤-١٤١) وتعيد بناء الأمة الواحدة على أساس متين. هو الاعتصام بجيل الله -جميعاً- وعدم التفرق أو السماح لعوامل التفرق القديمة باختراق وحدة الأمة. وتنشئ "ثورة ثقافية" تقوم بمراجعة كل ما كان له أثر في نشوء وامتداد الفكر الطائفي وتغلغله.

يضاف إلى ما قدمنا أن إيران بالرغم من حضارتها العريقة، ودورها في خدمة الإسلام والمسلمين لا تشكل نقطة جذب أساسية كالحرمين أو مصر أو العراق وعتباته المقدسة. كما أن الشيعة ما يزالون أقلية بالنسبة للمسلمين مجتمعين قد يكونون (٢٠%) أو أكثر، يمكن عزهم قومياً بالتأكيد على الانتماء إلى القومية الفارسية، ومذهبياً بالتأكيد على "صفوية المذهب" وبالنبش عن كل ما أضافه "التشييع الصفوي" إلى التشيع العلوي من إضافات هو بريء منها. وبالتالي فإن من غير المتوقع في هذه الحالة أن تكون إيران موقعاً يمكن أن يفجر البركان الإسلامي في سائر أنحاء العالم؛ إنه بركان موضعي لن يمتد بسهولة. أمّا لو أنّ ما حدث في إيران في حينه حدث في ذات الوقت في مصر أو العراق أو السعودية مثلاً لكان الوضع مختلفاً وربما أمكن انتشار الثورة في العالم الإسلامي كله، وصار لها امتدادها في كل مكان.

وهنا نستطيع أن نستعيد من التاريخ القريب قصة صراع الملك عبد العزيز آل سعود والهاشميين بقيادة الشريف حسين فكلا الرجلين كان له نصيب في إضعاف الدولة العثمانية، والتعاون مع بريطانيا ضدها، وكلاهما كانا يحظيان بتأييد بريطانيا ودعمها المادي والمعنوي في صراع الأخيرة مع العثمانيين، مقابل تأييدهما المشترك لبريطانيا. ولكل من الرجلين مستشارون بريطانيون لورنس كان مستشار الشريف حسين وأولاده. وفلي كان مستشار الملك عبد العزيز. وقد خذل البريطانيون الشريف حسين، ونفوه إلى قبرص وأغرقوا الذهب الذي منحوه له ليستعيدوه من البحر.

ووافقوا على إخراجه وأولاده من الحجاز. ولكنهم دعموا سلطان عبد العزيز واعترفوا بوحدة نجد والحجاز تحت قيادته ورجحوا كفته على كفة الهاشميين وأيدوه. وفي تلك المرحلة سئل أحد كبار الساسة البريطانيين عن الأسباب التي دفعتهم لذلك؟ فأكد: على أن بريطانيا لو وفّت بوعودها للشريف حسين وجعلته قادراً على أن يكون ملكاً على الحجاز فلن يكفيه ذلك، وستدفعه مظامعه وطموحاته إلى بناء دولة عربية موحدة قوية، ثم خلافة إسلامية ممتدة ما بين المحيط والخليج وقد يوجد له بين العامة تأييداً. فكان لا بد من إبقائه بعيداً عن ذلك الهدف وإبعاده عن الحجاز. أما الملك عبد العزيز فقد استطاع بدهائه وفطرته أن يقرأ ما في أذهان البريطانيين فطمأن مخاوفهم وجعلهم يطمئنون بأنه لا يطمح إلى ما يتجاوز نجدًا

والحجاز، فهو يعلم أنّ العالم الإسلاميّ -كلّه- ينظر إليه على أنّه قائد "وهايّي"، والعالم الإسلاميّ يكره الوهابيّين وينفر منهم منذ العهد العثمانيّ وإسقاط محمد عليّ للدولة السعودية الأولى. ولذلك فإنّه لن يمدّ عينيه إلى خارج ما حدّد له. أو حدّده لنفسه فلن يشكّل خطراً في المستقبل.

*** **

إضافة إلى ظروف أخرى تتعلق بسياسات تصفية القضية الفلسطينية، وإحلال السلام في المنطقة ومحاصرة وتحجيم قوى الرفض والممانعة وتصفية الإرث الناصريّ.

المعهد والحقيقة الواقعة:

في ظل هذه الظروف -كلّها- اجتمعت هذه الفئة الصغيرة بكل العمق والخلفيات التي أشرنا إليها لتؤسّس "المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ" **The international institute of Islamic thought** مستحضرة مسيرة محاولات الإصلاح والتجديد عبر قرون وما كانت تنتهي إليه. محاولة الوصول إلى أهم الأسباب التي كانت تكمن وراء توقّف تلك الحركات الإصلاحية، وتراجعها عن بلوغ أهدافها قبل الوصول إليها.

من هم هؤلاء على سبيل التفصيل:

الفاروقي:

كانت المجموعة عجيبة في خبراتها وخلفياتها ومكوّنات كل منها العقلية والنفسية وإمكان التكامل فيما بينها كبير جداً. الفاروقي رجل ينتمي إلى واحدة من أهم الأسر الفلسطينية ترك فلسطين بعد قيام إسرائيل إلى كندا ثم أمريكا ليتخصّص بتاريخ الأديان، وقاده ذلك إلى اللغات، واقترب بسيدة أمريكية فاضلة كانت خير تلميذة وزميلة له استوعبت الفنون الإسلامية حتى صارت أستاذة لها.

وتشرّبت معها حبّ فلسطين والقضية الفلسطينية، وسائر ما يتعلّق بها. فكان فريقاً في زوجين. وحين يتبنّى زوجان كهذين قضية يؤمنان بأنّها مفتاح إصلاح الأمة، والانتصار لفلسطين تستطيع أن تقدّر كيف سيعملان، وما الذي يمكن أن يعطياه لقضية كهذه لقد أعطيا قضيتهما هذه كل ما لديهما، وآخر ما أعطياه حياتهما ليكونا شهيدين في قضية إصلاح فكريّ ومنهجيّ.

كان الفاروقي طُلَعَةً يتمنى أن يلم بكل نوع من أنواع المعرفة وأن يستفيد بكل شيء بدأ حياته عروبياً شديداً الحماس للوحدة العربية مدرِّكاً أنّ من أهم أسباب ضياع فلسطين هو تفكك الأمة العربية والأمة المسلمة وتشردمهما. وأنّ تلك الأقليميّة الضيقة التي أسس لها "سايكس بيكو" هي المسؤول عن ضياع فلسطين وعمّا قد يضيع بعدها وقد شدّه ذلك إلى التعمّق في دراسة الأديان لمعرفة اليهوديّة والصهيونيّة وطبيعة العلاقة بينهما ولماذا لم تستطع القوميّة العربيّة أن تكون مولوداً شرعيّاً للإسلام كما كانت الصهيونيّة مولوداً شرعيّاً أو أضفيت عليه الشرعيّة اليهوديّة ليكون التعبير السياسيّ عنها، فتعمق في الدراسات اللغوية ودراسات الأديان والمقارنة بين الأديان وعلاقات الحضارات بالأديان. ومهر في ذلك وصار قادراً على الإضافة إليه. وقدم سلاسل من الدروس والمحاضرات في كندا وفي أمريكا وفي العالم العربيّ حول هذه القضايا جعلت منه شخصيّة معروفة في الأوساط الأكاديميّة الأمريكيّة وغيرها. كانت الأوساط الأكاديميّة حينما تنظر إلى الأساتذة المسلمين تجعل الفاروقي -رحمه الله- من بين أهم ثلاثة من القيادات الفكرية والأكاديميّة المسلمة في أمريكا وكندا. هم فضل الرحمن (ت: ١٩٨٨م)^(٨) وسيد حسين نصر ثم بروفير فاروقي (ت: ١٩٨٦). ولثوريّة الفاروقي وفلسطينيّة ونقده للصهيونيّة كانت تلك الأوساط تصنّفه ثالث الرجال الثلاثة في حين أنّ الثلاثة -عندي- وقد خبرت كلا منهم هم أفراس رهان، من العسير تمييز أي منهم على الآخر اللهم إلا فيما يتعلق بالاهتمامات وبالنزعة الصوفيّة عند سيد حسين نصر والنزعة الفلسفية عند فضل الرحمن والنزعة العروبيّة المشوبة بالإسلام عند فاروقي. كان فاروقي شديد الاعتزاز بانتمائه الإسلاميّ والعربيّ وفيما كان المهندسون من مؤسسي المعهد وبعض رجالات الجمعيات المتخصصة يتابعون البحث عن القيادات الأكاديميّة ليستضيفوهم للمحاضرة والتدريس في المناسبات التي يحدونها اتصلت بحالهم بالدكتور الفاروقي وسرعان ما التقت الأرواح والأهداف واختاروا الفاروقي رئيساً "لجمعية علماء الاجتماعيات المسلمين". وكان قد سبقه إلى الاتصال بتلك المجموعة الاستاذ الدكتور عبد الحميد أبو سليمان الذي كان يعد رسالته للدكتوراه هناك وفي إطار التعاون بين المهندسين في اتحاد الطلبة ورجال

(٨) وهو مفكر باكستاني عمل في الحقل التربوي في باكستان، إلا أنه اضطر للهجرة من بلاده بعد تعرضه لهجمة

شرسة من الجماعات السلفية، فأمضى ما تبقى من حياته أستاذاً للفكر الإسلامي في قسم لغات الشرق الأدنى في

جامعة شيكاغو، حتى توفي عام (١٩٨٨م)

الجمعيات المتخصصة من أطباء ومهندسين وعلماء اجتماعيات والنقاشات التي كانوا يثيرونها والموضوعات والحوارات التي كانت تطرح التقى هؤلاء على ضرورة إيجاد مؤسسة فكرية أو مؤسسة تقوم على البحث والعمل الفكري ونشطوا في جمعية علماء الاجتماعيات لتكون محضنا يمكن تطويره أو تطوير الأفكار التي يمكن أن تؤدي إلى بناء وتشكيل المؤسسة الفكرية المطلوبة.

العمل الإسلامي والزائرون:

كانت الأوضاع في مصر قد بدأت بالتغير، وطرح الرئيس الراحل السادات شعار دولة العلم والإيمان ووجد كثير من التناقض بين شعار دولة العلم والإيمان من ناحية وبين استمرار سجن الإسلاميين وقيادات الإخوان. كما أن خلافاته مع علي صبري والآخرين من الذين كانوا يريدون منافسته على رئاسة البلاد وإرث ثورة يوليو كانت قد اشتدت وتزايدت. فقام بإطلاق سراح من كان قد بقي في السجون من قيادات وعناصر الإخوان المسلمين ورأى شباب اتحاد الطلبة المسلمين في ذلك فرصة سانحة لتعريض بعض القيادات للخبرة الأمريكية والغربية وإعطاء شبابهم في أمريكا فرصة الاستماع إلى هؤلاء القادة وخبراتهم في العمل الإسلامي في المشرق ليستخلصوا منها الدروس المستفادة. فبدأوا يستضيفون في مؤتمراتهم قيادات إسلامية كثيرة مثل صالح أبو رقيق وعبد الحلیم أحمد أبو شقة ومحمد قطب والدكتور الملت والتلمساني ومصطفى مشهور ومحمد مهدي عاكف وبعض رجالات الجيل الثاني. فهم كذلك استضافوا مالك بن نبي والمهدي بن عبود وحسن الترابي وأمثالهم وذلك لإيجاد فرص لتبادل الخبرات والتجارب بين هذه العناصر المتنوعة من العاملين في الحقل الإسلامي، وحملة هموم التغيير من منظور إسلامي، وبدا الفاروقي -يرحمه الله- بين أولئك الشباب مرجعاً متميزاً في فكره وطاقاته ونشاطه. وبعد أن بدأ الطلبة العرب والمسلمون يتوافدون خاصة بعد حرب أكتوبر وارتفاع أسعار البترول بدأت السعودية ودول الخليج والعراق وماليزيا وإيران إرسال كثير من الطلاب والدارسين إلى الولايات المتحدة خاصة ثم إلى أوروبا، وبدأت وفود المشايخ والدعاة تتردد على أمريكا للمشاركة في نشاطات الطلاب. وازدهرت وتوسعت مجالات النشاط أمام قيادات "اتحاد الطلبة المسلمين". وأذكر أنني عندما زرت الاتحاد محاضرا سنة (١٩٧٨م) كان عدد الفروع في مختلف الجامعات قد جاوز مئتين. واستطاع هذا الاتحاد

بفروعه المختلفة وممارساته المتميزة ومؤتمراته أن يؤدي أدوارا شديدة الأهمية في المحافظة على هويّة الطلبة الوافدين من العالم العربيّ والإسلاميّ وحمائتهم من الانحرافات وما أكثرها حتى لفت ذلك أنظار جهات كثيرة محليّة وخارجيّة بحيث صارت تتساءل ما الذي يجعل الطالب المسلم يذهب من بلاده إلى الولايات المتحدة بعيدا عن الالتزام الإسلاميّ ثم لا يلبث أن يعود إلى بلاده ملتحميا ملتزما بأداء الفرائض مواظبا على الجمعة والجماعة شديد الحرص على أن يوظف علمه وخبرته في خدمة الأمة. وأذكر أنّ هناك رسالة وجهت من الخارجيّة الأميركيّة إلى الدكتور محاضر محمد رئيس وزراء ماليزيا آنذاك تشير إلى أنّ الوزارة لديها بعض القلق على مظاهر التطرف التي بدأت تلحظ على الشباب الماليزيّ في الولايات المتحدة وتتساءل عن أسباب ذلك وأنّ محاضر محمد قد رد عليهم آنذاك قائلا: بأننا نقتطع من قوت شعبنا ونبعث أبناءنا إلى الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرهما فيعودون إلينا بتلك المظاهر التي تشتكون منها فهم يتعلمونها عندكم لا عندنا، وكان لاتحاد الطلبة المسلمين أهم الآثار في التزام هؤلاء الشباب بالإسلام والتشبُّث بهويّتهم الإسلاميّة.

كان الفاروقي بناءً على حرصه على اتقان المعرفة الإسلاميّة إضافة إلى ما اكتسبه في الغرب قد رحل إلى مصر ودرس في الأزهر ما يقرب من ثلاث سنوات وخالط الكثيرين من علمائه الكبار أمثال عبد الحلیم محمود ومن إليه واستفاد بهم واستفادوا به وقدم أكثر من مقرر دراسي في المعهد الذي كانت الجامعة العربيّة قد أسسته "معهد الدراسات العربيّة" وعرف بخبرته في الأديان المقارنة وفي اليهوديّة والصهيونيّة وما إليها، كان -يرحمه الله- سريع الحركة واسع الحضور في المؤتمرات. استطاع أن يبني له سمعة متميّزة من خلال حضوره الكثير لا في العالم العربيّ -وحده- بل في باكستان وماليزيا، وكوّن علاقات صداقة مع كثير من قيادات تلك البلدان وكانت لديه سيارة كاديلاك سوداء يقول: هذه قد خصصتها لأصدقائي من الحكام الذين كانوا يحرصون على زيارته في منزله في فيلادلفيا فيذهب ليعود بهم إلى فيلادلفيا من نيويورك أو واشنطن. كان أبرز هؤلاء ضياء الحق الذي استضاف مؤتمر "إسلاميّة المعرفة الأول" في باكستان وكان صديقا حميما للفاروقي معجبا به يعلق آمالا كبيرة عليه وعلى مجموعة المعهد لإحداث تغيير فكريّ في عقول علماء باكستان. وكذلك الدكتور محاضر محمد رئيس وزراء ماليزيا وقد كان لفاروقي دور متميز في إقناع محاضر بالإفراج عن

أنور إبراهيم الذي سجن في السبعينيات وإيجاد وتهيئة أجواء التعاون بينه وبين محاضر محمد وقد نأى إلى ذلك. وحين قررت مجموعة المعهد تأسيسه بعد أن تأخرت اللجنة المكلفة من "ندوة الفكر الإسلامي" في لوجانو بتأسيس "أكاديمية الدراسات الإسلامية" وكانت المجموعة -كلها- في الرياض آنذاك عدا الدكتور الفاروقي الذي كان في أمريكا وأنور إبراهيم في ماليزيا. وتقرر أنه لا بد من الشروع في التأسيس وارتؤي ذهاب الدكتور عبد الحميد أبو سليمان إلى أمريكا للاتصال بالمجموعة التي كلفت بتأسيس الأكاديمية من ندوة لوجانو فلم تفعل ذلك، وتأخرت ومعرفة أسباب تأخرها في ذلك لاتخاذ ما تراه المجموعة مناسباً. وبالفعل سافر الدكتور عبد الحميد واستطلع الأمور وتكونت لديه قناعة بأن الجماعة لن يفعلوا ذلك وتحديث تلفونياً ليخبر مجموعة الرياض بأنه لا فائدة في الانتظار واقترح أن يذهب إلى الدكتور الفاروقي ويتداول معه ويقترح معه اتخاذ ما يلزم لتأسيس الأكاديمية أو بديلاً عنها وتشكيل مجلس أمناء وما إلى ذلك ففعل، وأخذ الدكتور الفاروقي على عاتقه تسجيل المعهد في فيلادلفيا وبدأ يمارس نشاطه من غرفة في منزله فيها مستعينا بسكرتيرة لنصف الوقت اسمها ليلي لطيف وأصدر -آنذاك- بعض الأوراق التي اختيرت من المؤتمر الأول في إسلام آباد وطبع خمسة كتب هي باكورة إنتاج المعهد ومنها كتاب "إسلامية المعرفة الأول" التي صدرت طبعته الأولى باللغة الإنجليزية بتحريره هو. وحينما ترجم في الكويت من قبل الإخوة جمال الدين عطية ومحي الدين والسيد المترجم عبد الوارث سعيد وكتب عليه بأنه من تأليف الأستاذ الفاروقي في حينها وكان الأدق أن يقال: "هو من تحريره". كان الفاروقي إذاً علماً من الأعلام وأستاذاً متميزاً وشديد الحماس لخدمة أمته في هذه المجالات.

لقد كان للفاروقي دوره التأسيسي في متابعة قضايا المعهد وإصدار باكورة إنتاجه والتعاون في الإعداد والتهيئة لتنشيط "جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين The Association of Muslim social scientists AMERICAN (AJISS) والمجلة المشتركة التي صارت بعد ذلك مشتركة بين المعهد والجمعية JOURNAL OF ISLAMIC SOCIAL SCIENCES ثم عمل على عقد المؤتمر الأول في إسلام آباد وكان له دور كبير فيه ثم المؤتمر الثاني في كوالالمبور في (١٩٨٤م) ولم يكن دوره فيه بأقل من ذلك.

وفيما كنت أعد للمؤتمر الثالث لإسلامية المعرفة في الخرطوم استشهد -عليه رحمة الله- وزوجته. بعد أن تجاوزنا السنتين الأوليين من عملية التأسيس في فرجينيا، واكمل جمعنا فيها. وبعد أن مرت فترة يسيرة على إنعقاد مؤتمر "إسلامية المعرفة" في باكستان رأت المجموعة -كلها- أنه ليس من المقبول أن يحمل الفاروقي -وحده- عبء العمل الفكري في الولايات المتحدة، وأنه لا بد من دعمه ببعض عناصر المجموعة وتم اختيار الأخوين في البداية الدكتور جمال البرزنجي وهشام الطالب لأن يكونا أول من يغادر المنطقة العربية للالتحاق بالدكتور الفاروقي فغادرا السعودية التي كانا يعملان فيها إلى الولايات المتحدة. ولأسباب كثيرة تم اختيار أمريكا لعل أهمها تيسير مهام الاتصال في المسؤولين عن الطلاب العرب والمسلمين فقد اختيرت فرجينيا مقراً جديداً للمعهد، وتمت إعادة تسجيل المعهد في فرجينيا. وحين سافر الأخوان جمال وهشام إلى هناك وجدنا أن أفضل مكان يمكن أن يستقر المعهد فيه هو منطقة هيرندن ورستن من ولاية فرجينيا لأسباب عديدة قد لا يستفيد القارئ من شرحها تفصيلاً لكن أهمها هو حصول المعهد على مزايا الوجود في واشنطن وتجنّب أية سلبات تترتب على ذلك الوجود، وبدأوا بشراء أرض ومنزل اتخذ مقراً للمعهد ونواة لمكتبته ومسجده وسكنًا للأخوين بأسرتيهما في المرحلة الأولى، وبدأ النشاط يزداد في مجالات الفكر ومجالات الاستثمار لكي يتمكن جميع العاملين الأساسيين في المعهد من التفرغ وأن يحملوا أعباء معيشتهم دون أن يكلفوا المعهد شيئاً، وطلب من الدكتور الفاروقي -رحمه الله- أن يستقيل من عمله في "Temple University" ويتفرغ مع الأخوين جمال وهشام في فرجينيا فتردد الرجل ورأى أن يستمر في عمله لأسباب عديدة: أهمها قدرته على استقطاب الطلاب وتكوين كوادر تخدم "إسلامية المعرفة" وقضاياها. وأنه ينبغي أن يبقى في موقعه إلى أن تأتي ظروف أكثر مناسبة ثم اتفق الجميع على ضرورة تفرغ الدكتور عبد الحميد وطه جابر للمعهد كذلك. فتكون مجموعة المهندسين لقضايا الإدارة والاستثمار والاتصالات، ومجموعة المفكرين الثلاثة عبد الحميد وفاروقي وطه لقضايا الفكر والعمل الفكري والكتابة، وبالفعل لم تمضي سنة (١٩٨٤م) حتى كان الجمع قد اكتمل ولم يبقى خارج أمريكا سوى الدكتور أحمد توتونجي في السعودية من المجموعة التأسيسية وأنور إبراهيم في ماليزيا. وحين تكامل الجمع بدأ المعهد يأخذ شكله الإداري والفكري وفي السنة الأولى قل أن يمضي شهر واحد دون أن

يستضيف المعهد ندوة أو أكثر كل شهر لمناقشة وبلورة قضايا اهتمامه وكان الفاروقي -يرحمه الله- مع إخوانه لولبًا لتلك اللقاءات وذا العطاء المتميز فيها مع الأخ الدكتور عبد الحميد ثم الفقير إليه تعالى والدكتور جمال والآخرين وفي نهاية عام (١٩٨٥ م) إذا بالفاروقي -يرحمه الله- يصل إلى قناعة خاصة أننا لكي نعالج الأزمة الفكرية ونصدر فيها دراسات متميزة ونبور قضية المعهد الأساسية في "إسلامية المعرفة والإصلاح الفكري والمعرفي" فإنه لا بد من تأسيس معهد تعليمي ندرس فيها -جميعًا- ونأتي بآخرين فيكون طلاب المعهد وأساتذته هم المدرسة الفكرية المسؤولة عن بلورة ما هو مطلوب في معالجة "الأزمة الفكرية وأسلمة المعرفة"، لم نكن -والحق يقال- مهيين في تلك المرحلة المبكرة لقبول هذه الفكرة ولم نكن قد انتجنا دراسات مؤسمة يمكن استعمال بعضها كتبًا منهجية في أي موضوع من الموضوعات. فقد كان الدكتور عبد الحميد رئيس قسم في جامعة الملك سعود ولو أراد العمادة لبلغها فللرجل مكانته وأهميته. وكنت في جامعة الإمام لي طلاب بال عشرات ولي زملائي، ولم نستطع - آنذاك- أن نوصل أفكارنا ونحن مكلفون بمناهج مقررة سلفًا من إدارات الجامعات والتعليم العالي وما إلى ذلك: لم نستطع أن نوصل لطلابنا ما نرى أنهم بحاجة إليه، وأنه ينبغي أن يصل إليهم. وإذا كنا سنؤسس معهدًا للتعليم وقد غادرنا التعليم من أجل أن نبور الأفكار الأساسية ونكتب فيها ونحصل على مجموعات من الأساتذة تشاركنا آرائنا وأفكارنا ثم نحمل ما نتوصل إليه إلى سائر الجامعات والجهات التي يمكن أن تجد في ما نقترحه من برامج وسيلة نافعة وهامة في معالجة كثير من الأزمات في بلادنا الإسلامية وغيرها فذلك أولى لنا من الانحصار في جامعة واحدة أو معهد عال سوف نجد أنفسنا مجبرين كذلك إلى ملاحظة احتياجات الطلبة للوظائف وللمهن وضرورة تزويده بالخبرات التي تيسر لهم سبل العثور على أعمال ووظائف وما إلى ذلك؛ وذلك كان رأي د.عبد الحميد، ولذلك كان مترددًا في قبول مسؤولية جامعة ماليزيا I.I.U لذلك فقد عارض الدكتور عبد الحميد وأنا معه تأسيس معهد في تلك المرحلة المبكرة لما سماه الدكتور فاروقي "بالدراسات الإسلامية المتقدمة" the Islamic institute for advanced Islamic studies لم يرض ذلك الشهيد فاروقي وألح إلحاحًا شديدًا على ضرورة ذلك، واتخذ خطوات عملية، وحصل للمعهد على التراخيص المطلوبة. بل وسجل المعهد رسميًا وبدأ يقبل طلابًا من طلابه لينتقلوا

للدراية في ذلك المعهد. وقدم بعضهم الأور الدراية عما سيدرسونه ووضع اسمينا عبد الحميد وأنا إضافة إلى أسماء أخرى بين الأساتذة والمدرسين الذين اختارهم للتدريس في هذا المعهد. وطلب من "المعهد العالمي للفكر الإسلامي" أن يحول من أمواله القليلة جدًا في ذلك الوقت مبلغ نصف مليون دولار لبداية التعليم والتدريس في المعهد فلم توافق الغالبية العظمى على ما عرضه. لأنه لم يكن لدينا مقررات دراسية من منظور "أسلمة المعرفة"، ولا نريد أن نكرر ما فعله غيرنا!! ثم فكر المعهد أن يخاطب الأستاذ أنور إبراهيم ليعين الدكتور الفاروقي مديرًا للجامعة الإسلامية العالمية التي تأسست في ماليزيا بطلب من محاضر وبالتعاون مع منظمة المؤتمر الإسلامي. وصار أنور إبراهيم بحكم منصبه رئيسًا لها. وقلنا للأستاذ الفاروقي -آنذاك-: بدلا من أن نغير كل خططنا وبرامجنا فلماذا لا تأخذ هذه الجامعة وتجرب فيها خططك التي تريدها فإذا وفق الله -سبحانه وتعالى- وتكونت الكوادر المطلوبة فيإمكانك -آنذاك- وسنكون معك بعد أن نكون قد أنتجنا المواد المسلمة في تلك التجربة وتكلمنا مع الأستاذ أنور إبراهيم فرحب بالفكرة بعد أن تنتهي مدة مدير الجامعة الذي كان موجودا وهو الأستاذ الدكتور محمد عبد الرؤوف -يرحمه الله- وكتب فاروقي -يرحمه الله- إلى أنور يستعجله في إنجاز هذا الأمر ووصلت رسالته إلى أنور كما أخبرني بعد استشهاد الفاروقي بثلاثة أيام -يرحمه الله رحمة واسعة-.

لماذا اغتيل الشهيدان فاروقي؟

لم نستطع في بادئ الأمر أن نصل إلى شيء يشير إلى الأسباب الحقيقية لاغتيال الشهيدان فاروقي وزوجته، ولم نشعر -قبل وقوع ما حدث- في أي وقت منه أنه خائف من شيء لكننا نعرف أن أختا له قد اغتيل في بيروت قبل فترة من اغتياله، ونسب اغتياله إلى الموساد وأعوان إسرائيل. بمجرد الظنة والاشتباه، كذلك قتل أحد أبنائه بشكل غامض في المكسيك وكان عسكريًا في فرع من فروع الجيش الأمريكي، وحزن -يرحمه الله- وكان يشتكي كثيرا إذا تذكر بأهم لم يكشفوا عن الجاني. مع كونه عسكريًا يفترض أن تتابع أجهزة الاستخبارات والأمن قضية اغتياله بشكل جدي حتى تكشف عن ظروف القتل والجهة صاحبة المصلحة فيه، وتقتص من الجاني.

لكن شيئاً من ذلك لم يحدث، ثم جاء اغتياله وزوجه عليهما رحمة الله. وقد رأى المعهد -بعد التشاور مع المحامين ضرورة رصد جائزة مغرية لعل ذلك يساعد في الكشف عن القاتل.

فرصدنا خمسين ألف دولار لمن يرشد للقاتل أو يدي بمعلومات تؤدي إلى القبض عليه، وأعلنّا ذلك بكل الوسائل الممكنة في الولاية، ولم يمض وقت طويل حتى تقدم إلى الشرطة عريف من الشرطة، وطلب منحه الضمانات اللازمة للحصول على الجائزة وبعد أن أعطى ذلك أخبر المحققين بأن أخت "Joseph young" القاتل صديقه أي صديقة الشرطي، وأنها تعتقد أنّ جوزف هذا هو القاتل لقرائن عديدة ذكرتها لصديقها العريف واتفقت معه على اقتسام الجائزة. وحين صدر أمر القبض على جوزف هذا وجد في السجن حيث ارتكب جريمة أخرى بعد اغتيال الشهيدين أدخل السجن بسببها. وحين واجهه المحققون بالتهمة الموجهة إليه لم يتأخر عن الاعتراف بها، وذهب ومثّل الجريمة كما وقعت، وأعطى سائر التفاصيل، لكنّه رفض بشدة وباستمرار ذكر من حرضوه على الجريمة، أو أعطوه المال الذي لفت نظر أخته إليه، وجعلها تقتنع بأنّه هو من ارتكب تلك الجريمة طمعاً في المال الذي ظهر عنده بشكل مفاجئ حيث اقتنى سيارة جديدة غالية الثمن. وكان ينفق عن سعة قبل اعتقاله.

وأصر على أنّه ارتكب الجريمة بدوافع شخصيّة دون تحريض من أحد!! علماً بأنّه اعترف أنّه لم يكن يعرف الفاروقي، ولكنّه اعتنق الإسلام!! وكان يعمل سائق سيارة أجرة وكثيراً ما كان يوصل بعض طلبة الفاروقي إلى منزله، وأنّه دخل المنزل معهم مرّة واستقبله الفاروقي بشكل جيّد كأنّه واحد من الطلاب.

وصرّح القاتل في المحكمة بأنّه تعرض في صباه لعملية اغتصاب جعلته يتمنى قتل كل من يسمع أو يعرف عنه أنّه يمارس هذا الشذوذ، وادّعى أن هناك من أكد انحراف ذلك الأستاذ الطاهر النقيّ فقرّر قتله. لكنّه لم يخبر -أيضاً- من الذي ذكر له ذلك، ولو فعل لربّما ساعد ذلك على كشف المحرّضين. وبقيت الجريمة غامضة. وصرنا مع المحامين نحاول جمع الأحرف المتقاطعة في الجريمة وحولها. فقد ذكر لنا البعض: أنّ قتل أخيه ثم ولده، ثم قتله بينهما ارتباط وثيق فالشهيد من أسرة فلسطينيّة عريقة، كتب كثيراً عن الصهيونيّة وإسرائيل

والأديان اليهودية. وقد نشرت صحيفة إسرائيلية قبل استشهاده بفترة وجيزة أنه أستاذ خطير يعمل على تحويل القضية الفلسطينية إلى الدائرة الإسلامية، وأنه يعمل على تشكيل لوبي إسلامي في الولايات المتحدة. وأنه يحاول تجنيد الأساتذة المسلمين تحت شعار "إسلامية المعرفة" لهذا الغرض...

وقيل لنا: بأن إحدى الصحف الإسرائيلية قد نشرت بأن هناك شخصيات أكاديمية فلسطينية معادية لإسرائيل ولكل ما تمثله تنشط في الولايات المتحدة الأمريكية، ولا بد من إسكاتهما قبل أن يستفحل خطرهما. وتوقع البعض أن يعتال بعض الأكاديميين الفلسطينيين. واتجهت الأنظار نحو "إدوارد سعيد"^(٩)، لأنه أوسع في نشاطه ضد إسرائيل انتشاراً من الفاروقي -يرحمه الله- فلما استشهد الفاروقي بدأنا بجمع وتحليل كل تلك المعلومات المتناثرة. وأدركنا خطورة أن تكون فلسطينياً وأكاديمياً ناجحاً وخبيراً وإسلامياً في أمريكا.

كان الفاروقي حينما ترك إلى الغرب محافظاً للواء الجليل رغم صغر سنه -آنذاك، ومن أسرة تعزز جداً بانتمائها إلى الفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وكان جريئاً مندفعاً إذا اقتنع بشيء سارع إلى تنفيذه دون إبطاء. قلت له يوماً: أبا صخر أنت توحى لي حين أراك مندفعاً نحو إنجاز ما تراه على الأرض وبأية وسائل متاحة أنك مقال بناء يريد أن ينجز ما يلتزم به قبل حلول أجل التسليم، فضحك ضحكة عالية وقال: ألا تدري أنني اشتغلت مقال بناء في الفترة الأولى من حياتي. ففسر ذلك الكثير مما لم أكن أعرف له تفسيراً من

(٩) ولد إدوارد سعيد في القدس ١ نوفمبر ١٩٣٥ لعائلة مسيحية وكان أبوه فلسطيني أمريكي وامه فلسطينية لبنانية وكانت مسيحية. بدأ دراسته في كلية فيكتوريا في الإسكندرية في مصر، ثم سافر سعيد إلى الولايات المتحدة كطالب، وحصل على درجة البكالوريوس من جامعة برنستون عام ١٩٥٧ م ثم الماجستير عام ١٩٦٠ والدكتوراه من جامعة هارفارد عام ١٩٦٤ م.

قضى سعيد معظم حياته الأكاديمية أستاذاً في جامعة كولومبيا في نيويورك، لكنه كان يتجول كأستاذ زائر في عدد من كبريات المؤسسات الأكاديمية مثل جامعة ياييل وهارفرد وجون هوبكنز. تحدث سعيد العربية والإنجليزية والفرنسية بطلاقة، وألم بالإسبانية والألمانية والإيطالية واللاتينية. إدوارد سعيد هو من أتباع الكنيسة البروتستانتية الإنجليزية. كما كان موسيقياً وناقداً أدبياً مرموقاً. توفي بمرض اللوكيميا في ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٣.

طريقته في العمل. كان الرجل محبوبًا لدى الكثير من القادة المسلمين وكانت له صداقة شخصية متينة مع رئيس باكستان الأسبق ضياء الحق. ورئيس ماليزيا السابق محاضر محمد كما أشرت. وعلاقات المعهد بباكستان في عهد ضياء الحق بنيت على احترام ضياء الحق وكثير من أركان حكمه للشهيد فاروقي.

عبد الحميد أحمد أبو سليمان:

وأما د. عبد الحميد أبو سليمان فهو من مواليد مكة المكرمة ومن أسرة حجازية محترمة ذات مكانة معروفة. ومن ولد في مكة المكرمة أم القرى في المرحلة التي ولد عبد الحميد ونشأ فيها يستطيع أن يدرك أهمية التيارات الفكرية والأدبية التي كانت البيئة الحجازية تموج فيها إضافة للاتجاهات الثقافية المصرية التي درس فيها فيما بعد والتي كانت تعتبر بؤابة ثقافية متصلة بالبيئة الحجازية ترفدها بكل جديد. فمن بين التوجه السلفي الذي بدأ يشق طريقه إلى البيئة الحجازية منذ عقدين أو أكثر قبل ولادة عبد الحميد. ومن بين خصائص البيئة الحجازية المعروفة ورياح الثقافة المصرية تتكون عقلية عبد الحميد فكأنه خرج من بين فرث ودم. كان والده نجارًا، وهي حرفة تنسب إلى سيدنا نوح -عليه السلام- وفيها البناء والقوة والقطع والصرامة والتفكير والتركيب، والفن والجمال وفي عبد الحميد شيء من ذلك كله. إضافة إلى قدرة تأملية عالية.

لم يكن عبد الحميد بعد أن شب وصار يتذوق الآداب والأفكار مستريحًا لما كان يلحظه بعيني شاب نشأ في تلك البيئة وصار يلاحظ ما حوله ومن حوله لم يكن يستريح للعلمية التعليمية ووسائل التنشأة التي يراها في بيئته. وبدأ يقرأ لكثير من المفكرين المشاهير في تلك المرحلة أمثال العقاد ومن إليه من معاصريه ويتابع ما يجري بعيني ناقد لا يستطيع التسليم بشيء لا يعرف دليله ويجد قناعة فيه، ذكر لي مرة أنه كثيرا ما كان يذهب للمذاكرة في الحرم فمن بين التأمل في بيت الله الحرام ومسيرة النبوات والحالة الراهنة السيئة التي يشاهدها كانت تتراكم عنده التساؤلات، خاصة وهو يتابع من خلال الدراسة والمشاهدة ما يطرح من أفكار من مدرسي المدارس والمدرسين في الحرم وما يلحظه من سلوكيات الناس. وفي موسم الحج في مكة يصب العالم الإسلامي -كله- فيه مجاميع من القادرين على أداء فريضة الحج، وهؤلاء إن لم يكونوا من النخب فهم من المستويات الهامة في العالم الإسلامي

ومن أوتي حظاً من القدرة على التأمل والتدبر والملاحظة يستطيع أن يفكر في بعد سمو الإسلام وتخلّف وانحطاط المسلمين. لا شك أنّ الأسرة ووالد الدكتور عبد الحميد بالذات ثم والدته ثم البيئة قد شاركت تلك العناصر في تكوين عقليّته ونفسيّته فصار ذا نفسيّة قويّة تعرف معاني الرفض ومسالكه والمظاهر التي ينبغي ألاّ يسلم بها، ولكنّها في الوقت -نفسه- تضبطها عقليّة مع قدراتها النقدية تتّسم بكثير من التروي والتعقّل، ومحاوله وزن الأمور وعدم الخضوع لردود الأفعال المباشرة. كل تلك الأمور شاركت في صناعة تلك الشخصية المتميّزة. ولما حضر إلى مصر لمواصلة دراسته صار أكثر قدرة على الاستغراق في رصد الفروق بين سمو الإسلام وإنحطاط المسلمين ولما جاء لكتابة رسالته للماجستير فقد اختار لها موضوعاً هامّاً في تلك المرحلة خاصة ألا وهو موضوع "النظريّة الاقتصادية" والكتاب -الأطروحة- على صغره كانت فيه التفاتات ولحاحات تنبه إلى قدرة منهجيّة تساعد في عمليّات النقد والتفكيك من ناحية وإعادة الصياغة من ناحية أخرى. وقد ساعده ذلك على الاتّساع في رؤاه ونظراته والالتفات لأهميّة التحليل والدراسة المنهجية، وتفكيك القضايا وإعادة تركيبها.

وحيثما قدر له أن يسافر إلى أمريكا لنيل درجة الدكتوراه اختار موضوعاً آخر لا يقل أهميّة عن موضوع دراسته في الماجستير ألا وهو موضوع "العلاقات الدولية" ومع تلك العقلية المتأملّة الناقدّة التي لم تنفك عن المحاولة في بناء المنهج وإدراك أهميّته، والأخطار الكثيرة والسلبيات التي عادت على العقل المسلم نتيجة إهماله فانفتح على جانب هام من جوانب الفكر الغربيّ ومنهج التفكير فيه. وأخذ يتناول ما ورد في مجال "الحرب والسلام والعلاقات الدوليّة" في الفقه الإسلامي بناءً على السنن والأحاديث المرويّة المتداولة في هذا المجال فوجه إليها كثيراً من الاهتمام لمناقشتها لا في إطار الجزئيّات التي انتقدها على الفقهاء ولم يستطع الاقتناع بها ولكن في إطار الكلّيّات. شخصية تألفت من ذلك -كلّه- يتوقع منها أن تكون شخصيّة قادرة على التفكيك والتركيب، وإعادة البناء. ولذلك فقد كان وراء تأسيس كثير من المؤسّسات ومنها "الندوة العالميّة للشباب الإسلاميّ" وقبلها "جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين" وعمل مشرفاً على مدارس منارات الرياض، وجرّب فيها كثيراً من رؤاه التربويّة وشارك في كثير من المؤتمرات وكان في مقدمة العاملين بكل جد وإخلاص لتأسيس "المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ". وبعد أن نضجت خبراته وتجاربه وحينما استشهد فاروقي -عليه

رحمة الله - وألح أنور أن يكون المعهد بكل ما يمثل وفي مقدمته الدكتور عبد الحميد الجهة القادرة على تطوير "الجامعة العالمية الإسلامية" بعد استشهاد الفاروقي تولى إدارة الجامعة لمدة قاربت إحدى عشر عامًا تحولت فيها الجامعة من مدرسة دينية ثانوية كبيرة إلى جامعة أولى في ماليزيا. ولما انتهت خدمته هناك عاد إلى "المعهد العالمي" ليمارس دوره فيه رئيسًا ومفكرًا ومخططًا - حفظه الله ورعاه، إنَّ شخصية عبد الحميد التي ذكرت من الصعب اكتشافها بشكل جيد، ورصد جوانبها المختلفة دون معايشة وصحبة فمن يلقاه مرة أو مرتين قد لا يستطيع تكوين فكرة مناسبة عنه. إنَّ الرجل ثروة لبلده وأمتة لو تكاملت بين يديه وسائل عمل تعينه على تقديم الأفضل والأوفر وهو كالماء حين يجد في طريقه عقبة يتحول يمينا أو يسارا لإنجاز ما يمكنه أن ينجزه لا ما يتمنى أن ينجزه. ولو أنَّ المسلمين سلكوا نفس أو مثل مسلك الجامعات الغربية في تكوين واحتضان المدارس الفكرية ووضع عبد الحميد في بيئة فكرية مكافئة تجادله وتحاوره لأسهم في تكوينها ولشاركت في إعطاء شخصيته أبعادًا أكثر ومع ذلك فقد كان يحاول بالوسائل المتاحة أن يقدم أفضل ما يستطيع وفقه الله - سبحانه وتعالى - وبارك في حياته.

المهندسون الثلاثة:

ثم يأتي المهندسون الثلاثة أولهم: د. أحمد توتونجي مهندس بترول ناجح petroleum engineer بدأ بممارسة العمل الإسلامي، وهو ما يزال طالب دراسات عليا في بريطانيا. هو كتلة من الطاقات، وإذا كانت المهن والتخصصات ذات علاقة بالتكوين العقلي والنفسي للإنسان فإنَّ من الواضح أنَّ بين شخصيته د. أحمد وبين تخصصه في البترول علاقة لا تخفى فهو مجموعة طاقات، ومصدر طاقات لا يهدأ، سريع الحركة منظم، يعرف ما يريد، ويستطيع أن يهيئ كل ما يساعده على تحقيق ما يريد لا ينشغل بالكبير عن الصغير ولا العكس، شديد التواضع في أنفة واعتزاز. يرى أنَّ مساعدة الآخرين على تحقيق ما يريدون - عنده - فن وهواية وواجب في الوقت نفسه، يستطيع أن يعمل بنفسه وبالآخرين.

شكل "اتحادًا للطلبة المسلمين في أمريكا" انطلاقًا من غرفة صغيرة كان يسكنها وبميزانية لا تتجاوز "خمسة عشر دولارًا". كان ناجحًا في كل ما يتبني أو يقرّر. حين تراه وهو يعمل في مؤسّسات إسلامية مثل "الندوة العالمية للشباب الإسلامي" أو المعهد أو "اتحاد الطلبة"

تقول هذا الرجل لا يحسن إلا هذا. وحين تراه في قسم البترول في جامعة الملك سعود وهو من أسسه تقول: هذا رجل متخصص لا يتقن إلا تخصصه. إنه عدة مؤسسات في شخص واحد. يمكن أن يقال في الرجل الكثير أكثر الله من أمثاله في هذه الأمة إنه نموذج يستحق الدراسة ويستحق أن يعهد إليه في سنه هذا تربية عدد من الأذكياء ذوي القدرات والاستعدادات التي يمكن تحويلها إلى طاقات لتكون ضمن الطاقات التي تنتظر الأمة ظهورها وعطاءها أمثال عمر كسولي وأحمد طه وعمر توتونجي وأخويه وعمر أزهر الطالب ومحمد ماجد ومروان الطالب وبعض الشباب المغاربيّ الذين خبرناهم. فخبرات الرجل ينبغي أن تنقل بشكل علميّ مدروس لجيل آخر. ويعز علي أن أرى كل قدراته وطاقاته الآن تستوعب في إطار شبيه بإطار سكرتاريا على مستوى عالي لمكتب الرياض فطاقات الرجل أكبر من ذلك بكثير.

والمهندس الثاني هو د. جمال البرزنجي **chemical engineer**، وهو لا يقل عن د. أحمد ذكاء ورغبة في خدمة دينه وأمته، لكنّه طراز آخر من الرجال كان جمال شغوفًا بالتحديات إن لم تبرز له أبرزها بنفسه ليتحدّها وليستمتع بمعالجتها، يجب التعامل مع الأصناف الصعبة من البشر، وأحيانًا يبحث عنها ليستمتع بالتعامل معها، وإبراز طاقاته في التغلّب عليها، فتلك عنده متعة لا توازيها متعة أخرى. وفي جانب آخر تراه متواضعًا حريصًا على قضيتته وإخوانه، ينزل إلى ما يروونه بعد أن يحاول إقناع الآخرين. له سابقة متميزة في العمل بين زملائه الطلاب في بريطانيا، ثم في أمريكا. له دوره في بناء وتدعيم "اتحاد الطلبة المسلمين" وله خبرة متميزة في شؤون ونظم الوقف في أمريكا خاصة. فقد كان مع المرحوم محمود أبو السعود مؤسسين للوقف الإسلاميّ في أمريكا، وتابع جمال ذلك من بعد. له اطلاع متميز في الطباعة والترجمة والنشر وما إليها. وله قدرة على العمل في أكثر من مجال واحد في وقت واحد. وذو رغبة في القراءة والاطلاع لا نجدّها عند أمثاله، نشأ في بيت علم كان أبوه -يرحمه الله- إمام جامع رافقه فترة وصحبه فعرف خلال تلك المرحلة المبكرة الكثير من أصناف الناس الذين يرتادون جامع أبيه وأطلع على كثير من المشكلات التي شغل بعضها تفكيره إلى الآن، هو مهندس كيمائيات إذا ألقّت المصادفات بين يديه شخصيّة بسيطة ومعقّدة في الوقت نفسه فتلك بالنسبة إليه طبق طعام غنيّ مع حلوى. فمهارة

المهندس الكيماويّ تظهر فيه على أشدها وهو يحاول أن يسبر أغوار تلك الشخصية المسكينة، إذا تبنى شيئاً سعى لإيجاد كل المركبات التي لا تسمح إلا بإقناع الآخرين بقبول مقترحه ومشاركته في حمل أعباء تنفيذه كنت أطلق عليه ألقاباً تشبيهية عديدة، فإذا بدأ يتحرى عن شيء فهو أشبه بالملازم كولومبو صاحب المسلسل المعروف. وإذا بدأ يحاور ويناقش ويستدل فهو أشبه بالإمام أبي حنيفة الذي كان يوصف بأنه لو أراد أن يستدل على سارية من خشب ليثبت أنّها من ذهب لتمكن من ذلك، وأقنع محاوريه بالعقل والعاطفة وثرعات التفكير وزلات اللسان التي يأخذها منهم ليعيدها عليهم أدلة حتى يحقق ما يريد ويصل إليه. ثم بعد ذلك تكون مسئولية الآخرين إذا بدأ أنهم اقتنعوا في أمر ما كان لهم أن يقتنعوا به!! ليتته تفرغ مثل أحمد لعشرة أو خمسة عشر من الشباب الواعدين ذوي الاستعدادات المتميزة التي ينبغي أن ترصد بأدق الأساليب العلمية واختبارات القدرة والذكاء لتصحبه وتعايشه وتستوعب خبراته قبل أن تضيع فيما لا طائل تحته من أمور شكلية أو ثانوية. وفقه الله وأحسن خاتمنا وخاتمته في الأمور كلها.

والمهندس الثالث د. هشام يحيى الطالب هو مهندس كهرباء **Electrical engineer** نشأ في مدينة الموصل ومنذ الدراسة المتوسطة وهو صديق ورفيق لجمال واشتغلا معاً في شركة نفط العراق وانتميا معاً لجماعة الإخوان المسلمين، ألقبه في نفسي "بالمتمم" فهو يحاول بطريقته هو أن يكون مكتملاً لإخوانه، فإذا رأى ثغرة تركها أيّ منهم فيما أسند إليه، أو تطوّر به عمل على استكمالها، فإذا لم يدرك أحد هذا الجانب من شخصية هشام فقد يرى في محاولة تدخّله لإكمال ما لم يكتمل تدخّلاً أو تطوّراً قد يزعجه. يُعدُّ وجوده إلى جانب جمال خاصّة نموذجاً لنزعة التكملة، قد يراه من لا يعرفه جيّداً تابعاً له، وما هو بتابع بل هو مكتمل إذا رأى ثغرة نبتة إليها، أو حاول إغلاقها بنفسه يمثّل بالنسبة لجمال خاصّة ناظماً ومكبّحاً في بعض الأحيان. وهذا الدور من الأدوار الهامّة والضروريّة للمجموعات عندما يخطّط له، وينظّم، لكنّه حين يترك للعفويّة والتلقائيّة فإنّه لا يقدم الفوائد التي يمكن أن تجنى منه. الرجل ذو عاطفة جياشة كثيراً ما ييكي في بعض المواقف واجهته وجمالاً في العمل الإسلاميّ مشكلات كثيرة استطاعا تجاوزها لكن من الصعب نفي وجود أيّ تأثير لتلك الأمور في البناء النفسي والعقليّ لأيّ منهما. فخور بما ينجزه هو وإخوانه،

يحرص على أن يشعر الناس بذلك بطريقة قد تثير لدى الأطراف الأخرى نوعاً من الإحساس بوجود نزعة إعتداد بالنفس مفرطة وراء ذلك وهو لا يقصد ذلك بل يقصد أن يحمل من يخاطبه على الاقتداء والتأسي بما يفعله هو وإخوانه. لديه قدرة على المتابعة والتنظيم والتدريب في مستويات معيَّنة، لديه نظرات قد لا يشاركه فيها الآخرون بل قد يأخذونها عليه، لكنّه يكون قد وصل إليها بقراءة لبعض أحداث التاريخ أو المعاصرة بنظرة الخاصة. هو أسرع فيما ورجوعاً من غيره عندما تثبت له أنّه مخطئ. قدراته فيما أرى أكبر بكثير من الدور الذي يختاره لنفسه، ولذلك فقد كان على المجموعة أن تعين كلا من أعضائها على اكتشاف ذاته وقدراته وإبرازها له ومساعدته على أن يجعل من دوره فيها وفي المهام والثغور الكثيرة التي تقف المجموعة عليها مصدر إثراء وإغناء. وفقنا الله وإياه إلى ما فيه الخير في الدارين.

أمّا أخونا الأستاذ أنور إبراهيم فهو سياسيٌّ داعية مفكر، على درجة ذكاء عالية جداً، مع "كاريزما" وقدرة على التأثير في الشباب خاصّة. لكنّ الجانب السياسيّ غالب عليه. ولو لم ينزع الشيطان وأعوانه بينه وبين محاضر محمد لعاد تعاونهما وخلافته المباشرة لمحاضر على ماليزيا بالخير العميم، ولربّما تغيّرت أحوال "عالم ملايو" -كلّها- نحو الأفضل فالرجلان كانا قريباً ناجحاً قبل ذلك، وكانت الآمال كبيرة جداً في تحالفهما. كان أنور يطمح دائماً إلى أن يرتقي "بالمعهد" إلى موقع **Think. Tank** إسلاميٍّ عالميٍّ يزوّد التيارات الإسلاميّة في سائر بقاع الأرض بالأفكار العلميّة الإبداعية، ويقدم الأفكار الإصلاحية التجديديّة إليها في إطار جامع بين دافعيّة وشرعيّة "الأصالة" ومرونة وعمليّة "المعاصرة". وكان يطمح أن يقود المعهد حركة التجديد الإسلاميّ على مستوى عالميٍّ، ويدفع دائماً في هذا الاتجاه، لكنّ الفريق لم يكن مهيماً لتحقيق ذلك. لأسباب كثيرة لا أجد هذه الفرصة ملائمة للإسهاب في تفاصيلها وتحليلاتها. وفي كل الأحوال فإنّ رجل دولة مثل أنور إبراهيم لا يمكن أن يكون المعهد والجامعة الإسلاميّة العالميّة إلا جزءاً من اهتماماته وليست كل الاهتمامات. وأنور وإن كان من داخل المعهد لكنه يلاحظه من الداخل ومن الخارج. ذكاء أنور الشديد جعله قادراً على أن يدرك الحجم الطبيعيّ لكل المؤسسات التي يتعامل معها، ويحاول أن يدفعها لإعطاء أفضل ما تستطيع، ويستفيد كرجل دولة من ذلك الذي تقدمه بأسلم سبيل وطريق، فهو متصل منفصل تستطيع المؤسسات التي تتعامل معه أن تزيد من اتصاله أو تزيد من نسبة

انفصاله بحسب إدراكها لمواقعه وحقيقتها. استطاع أن يتعامل مع بريطانيا وأمريكا ودل غربيّة مختلفة، واستطاع أن يكسب صداقات وعلاقات بين أطراف متناقضة ليس من السهل على أيّ سياسي مسلم أن يتعامل معها بتلك الطريقة التي فعلها أنور. الرجل محاضر متميز باللّغة الإنجليزيّة وبلغه قومه، ولديه قدرة على استيعاب الأفكار وعلى رصدتها وطلبها من متقنيها. هو رجل دولة ومن طبيعة رجل الدولة ومزاياه القدرة على الاستيعاب ويفترض بالذين يتعاملون معه أن يكونوا قادرين على فهم ذلك لئلا يخسروه فيأخذون منه العفو، ولا يطالبونه بكل شيء لأن تكوينه وعقليته كرجل دولة لا تسمح إلا بذلك القدر من الاستيعاب والعطاء. ما يزال الرجل ذا مستقبل واعد اتنى أن يعينه كل من يعرفه على بلوغ ذلك المستقبل الذي أرجو أن يكون أنور قادرا على تشكيله في عالم ملايو في إطار بروز الصين وسعيها الحثيث لأخذ موقع الاتحاد السوفيتي القديم وأوروبا التقليديّة والجري إلى جانب الجواد الأمريكي في إطار سباق شبه متكافئ. يطمع التنين الصيني فيه -الآن- إلى سبق أمريكا وتجاوزها واحتلال الموقع الأول وإذا تم ذلك قبل تصحيح مسيرة عالم ملايو وجمع كلمته في قيادة واحدة اقتصادية وثقافية مع تنسيق فاعل في المجال السياسيّ فإنني أخشى على عالم ملايو وعلى اليابان من العقود القادمة. وأظن أنّ أنور أعطى وما زال يعطي للمؤسسات التي اتصل بها الكثير لكن لا بد من ملاحظة أولويّات أنور وأولويّات عالم ملايو ونحن ننظر إلى وقته وجهده وطاقاته نسأل الله له التوفيق والسداد وعدم الانشغال بسفاسف الأمور عن معاليها.

هناك شخصية أخرى لا تذكر كثيرا عندما يذكر المعهد ورجاله لكن لها موقعا لا يقل أهمية عن أيّ واحد ممن تقدم ذكرهم، بل ربما نجد المجموعة كلها مدينة له في طاقاتها وقدراتها وتوفير أوقاتها وتزويدها باحتياجاتها، ذلك هو الدكتور يعقوب مرزا عالم فيزياء ذكيّ جدّا تفرغ لقضايا الاستثمار بعد أن عمل أيضا في قضايا الوقف ودّرس في الجامعة وتكونت شخصيته حينما التقت إرادة رجال المعهد والمفكرين بإرادة بعض رجال المال والأعمال على تكوين مؤسسة استثمارية تستطيع أن تقدم للعمل الإسلاميّ العلميّ والتربويّ ما هو بحاجة إليه. اختير يعقوب ليكون إلى جانب المهندسين الثلاثة في إدارة تلك المؤسسة والتخطيط للنهوض بها وباستثماراتها واستثمار ما كانت المجموعة قد وفرتة من مدخراتها لتمكين المجموعة

كلها من التفرغ التام للعمل الفكريّ دون حمل أعباء وهموم البحث عن لقمة العيش. استوحيت الفكرة من "مبدأ الوقف" في التراث الإسلاميّ ودوره في بناء الحضارة الإسلاميّة والمحافظة عليها. ومن خبرات جمال ويعقوب في الاستثمار في قضايا الوقف لتغطية احتياجات المساجد والمدارس في الولايات المتحدة. كان يعقوب وما يزال رجلا دؤوبا قليل الكلام كثير الفعل والحركة متواضعاّ قرر أن يحمل هذا العبء مع إخوانه وخاصة جمال وهشام فلم يمض وقت طويل حتى أصبح لرجال المعهد ببوتهم المملوكة لهم فلا يحملون هم السكن والإيجار والانتقال ووفرت موارد تساعدهم على العيش الكريم دون حاجة إلى إنفاق نفائس الأوقات في جمع التبرعات وكذلك الاهتمام بتوفير المال الازم لتسيير أمور المعهد وأوجه نشاطه فكان هناك جانبان ماليّان جانب شخصيّ استثمرت فيه أموال ومدخرات رجالات المعهد لتحقيق الكفاية لهم وإغنائهم عن أن يمددوا أيديهم إلى أموال المعهد أو أوقافه أو يتقل ميزانيّته بمرتباتهم وقد استطاع يعقوب وأخوه جمال وهشام ومن معهم أن يوفروا من الاستثمارات ما حقق ذلك وما يزال. وهناك الوقف العام الذي صار فيما بعد وقفا لمؤسسة وقف المعهد وذلك لتلبية احتياجات مقر المعهد الرئيس في هيرندن فرجينيا وفروعه الثمانية عشر في العالم كلّه، وطباعة كتبه ومجلاته ودراساته وما إلى ذلك. وقد نجح يعقوب وأخوه وأعوانهم في تحقيق الأمرين بحيث أصبحت المجموعة القياديّة متفرغة بنفقتها وأصبحت المؤسسة في غنى عن جميع التبرعات. بل ربما أصبحت ذات قدرة على إنماء بعض المشروعات والمؤسّسات المماثلة من بعض الجامعات وأقسام الدراسات الإسلاميّة يعتبر يعقوب مرزا الشخص الرئيسيّ وراء المتابعات والرصد وتوفير أفضل فرص الاستثمار والحرص على تجنب المخاطر المالية التي كثيرا ما أدت إلى إفلاس كثير من المؤسّسات الأخرى. هذا الرجل هو كما يقال من "ريش الخوافي" وريش الخوافي قوة للقوادم. تقبل الله منا ومنه ووفقنا وإياه.

منى والمعهد:

هنا لا بد لي من وقفة أبين فيها لا على المستوى العاطفيّ والشخصيّ وحده، بل على المستوى المعرفيّ جنديا مجهولا آخر في قضية هذا المعهد ورسالته ألا وهي الشهيدة الراحلة أم الفضل أستاذة دكتور منى أبو الفضل. لقد انضم إلى الفريق آخرون خلال المسيرة وأخذ كثيرون موقف المؤازرة. وهي فرصة لم تتح لمؤسسة أو منظمّة إسلاميّة أخرى -على ما

أعلم- خلال القرنين الماضيين كان في مقدّمة هؤلاء الذين أنعم الله على المعهد بانضمامهم إليه أم الفضل أ.د. منى أبو الفضل -يرحمها الله- فمضى كانت مفكّرة مسلمة على أعلى مستوى بل لا أتردّد أن أقول عن خبرة تامة بأنّها فيلسوفه كبيرة بدأت في طرح مشروعها الفكريّ في نفس الوقت الذي طرح المعهد فيه مشروعه الفكريّ. ففكر المعهد معضّد لفكرها وليس منشأً له. كانت تقف قبل الانضمام للمعهد على دعائم راسخة؛ لأنّها كانت تدرّس مشروعها لطلابها في كليّة الاقتصاد والعلوم السياسيّة منذ عام ١٩٧٣ فأسّست مشروعاً كاملاً، قبل الاقتران بي وقبل الاتصال بالمعهد، وطبّقته في تخصّصين هامّين من العلوم الاجتماعيّة هما "النظم العربيّة" و"النظريّة السياسيّة" أقامت د. منى مشروعها الرائد ذلك على قوائم أربعة هي:

١. "المنظور الحضاريّ" وأصوله ومصادره التاريخيّة والتنظيريّة.
٢. "النسق القياسيّ" وهو بمثابة نموذج تحليليّ وتصوّر تجريديّ تستنبط خصائصه من التقاليد والخبرة التاريخيّة للكيان الاجتماعيّ الحضاريّ، وهذا النسق القياسيّ هو الذي جعلته مقياساً تقيس به "الدولة الشرعيّة" وتحدّد به ملامحها.
٣. الإطار المرجعيّ: وهو إطار يتيح وضع المفاهيم مواضعها ليكون بمثابة الضابط الناظم لها دون أن ينفصل عنها؛ إذ أنّ المفاهيم تشكل دعائم الإطار. فالمفاهيم داخل الإطار المرجعيّ تبدو كأنّها أفراد يصدق عليهم لفظ واحد.
٤. الأمانة وكيفيّة إعادة بنائها بتوظيف كل ما بلغته المعارف والعلوم والخبرات والتجارب الإنسانيّة، وما يمكن استقاؤه من مصادر التنظير الإسلاميّة والسيرة العطرة، والخبرة التاريخيّة الإسلاميّة عبر العصور مع كيفيّة توظيف القيم والمقاصد القرآنيّة ومقاصد الشريعة في ذلك. ومعطيات "علوم السياسة المعاصرة" ولما تولت "مشروع الفكر الغربيّ" في المعهد تولّته بعد أن كانت قد أنضجت مشروعها الفكريّ وكونت رؤيتها، وبدأت خطوات عمليّة ثابتة في بلورة مشروعها. واستطاعت تعليمه وتدريب طلابها على التعامل معه، وصدرت لهم - بعد ذلك- بحوث ودراسات أعدت من ذلك المنطلق. ولذلك فإنّها كانت إضافة نوعيّة كبرى لو أنّ المعهد كان قد أسّس آليّة لاستيعاب مفكرين على هذا

المستوى. أو استطاع أن يدمج مشروع منى بمشروعه بشكل مدروس، وجعل
منهما مشروعًا واحدًا منذ البداية لربما قطع المشروع الموحد بذلك مراحل أكثر مما
قطع. وقدّر الله وما شاء فعل.

والمرء ما دام حيًّا يستهان به ويعظم الرزء فيه حين يفتقد.

هل مثلت المجموعة فريقًا؟

إنّ هذه المجموعة المباركة لم تأخذ سائر مقومات المدارس الفكرية؛ فقد كان هناك
اتفاق في الأسس والأصول العامة المشتركة: مثلاً هناك اتفاق على أنّ الأزمة الأساسية لدى
الأمّة هي "الأزمة الفكرية" وأنّ "الإصلاح الفكري والمنهجي" هما الأساس والمنطلق لمشروع
النهوض بالأمّة. وأنّ "إسلامية المعرفة" هي الإطار الفكري والمنهجي لتصحيح مسار الأمّة،
وإصلاح أحوالها، وبناء "مشروعها للنهوض والشهود الحضاري".

لكن المجموعة قد فرضت عليها الظروف أن ينشغل المهندسون الثلاثة مع يعقوب
بالأعمال الاستثمارية لتوفير النفقات اللازمة للمشروع والمؤسسة، وتغطية احتياجات
المتفرغين والمؤسسة.

واستشهد الفاروقي، وانشغل عبد الحميد بجمعية علماء الاجتماعيات والندوات والمجلة،
ثم الجامعة في ماليزيا. وأما أنا فقد كنت مستغرقًا بمتطلبات عمل المعهد مقرًا ومكاتب إداريًا
وفكريًا. والتبشير في قضاياها، وكسب الأنصار لقضيته، وتأسيس الفروع والمكاتب له وإعطاء
الإطار الفلسفي لقضيته الأساسية ما يستحقه من تأصيل؛ ذلك -كله- لم يسمح بتشكيل
مدرسة فكرية متجانسة تمامًا في الأفكار والغايات والأهداف والوسائل على غرار مدرسة
فرانكفورت أو قيينا في أوروبا. والقدر الموجود بيننا من التفاهم كان أقرب إلى التنسيق
والتوفيق الأخويّ بين أجنداث متعدّدة، فكأنّ لكل واحد من المجموعة أجندة اهتمامات
شخصية، ومعها أجندة الاهتمامات المشتركة. فحينما لا يجد الواحد منّا ذاته فيما هو
مشترك قد ينكفي إلى ما هو خاص؛ لأنّ كلاً من هذه المجموعة يريد أن يشعر بسعادة
الانجاز؛ ولأنّ أيّ واحد من هذه المجموعة لم يكن يألف القعود والتبطل. ثم لا يصعب على
أيّ من أفراد المجموعة أن يربط بين اهتمامه الخاص وبين الاهتمامات المشتركة التي هي المعهد
ورسالته. وقد أحصيت للمجموعة مرة "اثنتين وثلاثين مؤسسة" تهتم المجموعة أفرادًا ومجموعة

بها مادياً ومعنوياً، وجل تلك المؤسسات مؤسّسات ضخمة بعضها بحجم المعهد أو تزيد. فكانت دهشة الجميع كبيرة إذ لم يكن أحد يتصور أنّ هذه المجموعة تحمل أعباء وهموم كل تلك المؤسسات. كما أنّ نجاح المجموعة ونفوذها وسمعتها وإمكاناتها الماديّة جعلها ذلك كلّ موضع حسد كثيرين، كما جعل منها هدفاً لسهام كثيرة بدأت توجّه إليها من جهات إصلاحية دعوية وغيرها كان يفترض أن تؤازرها وتساندها وتستفيد من عطائها بوصفها think tank لكل تلك المنظمات والمؤسسات. وظاهرة تضارب حركات الإصلاح وتصادمها وعرقلة بعضها لجهود البعض الآخر ظاهرة سلبية لم يخل من أمثالها ونماذجها تاريخنا القديم ولا الحديث. إنّ كل حركة إصلاحية قائمة ترى في أيّة حركة إصلاحية تنشأ أو تقوم بعدها تهديداً لها؛ لأنّها - في الغالب - تكون قد أقنعت نفسها بأنّها كافية - وحدها - لتحقيق الأهداف دون تمييز بين أهداف الحركة وأهداف الأمة. وأذكر أنّي حين كتبت كتابي "إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات" الذي صدر بعد ذلك معدّلاً بعنوان "نظم الخطاب" بيّنت فيه أنّ المعهد لا يريد أن يكون بديلاً عن أحد، فهو مؤسّسة فكرية تريد أن ترابط على "ثغرة الفكر والمنهج" وأنّ الفرق كبير بين من يريد أن يطرح نفسه بديلاً عن جماعات أو عن جماعة إسلامية، وبين من لا يريد إلا أن يربط على ثغرة من ثغور الأمة يحاول أن يسدّ تلك "الثغرة" وحدها، ولا يتطلّع إلى أن يزيح أحدًا عن ثغره أو موقعه ليحل محله. ومع ذلك فقد تقدمت فئات إسلامية للتصدي للمعهد ورجاله، ومحاولة إجهاض ذلك المشروع الوليد. ففرضت نوعاً من الحصر والمحصرة لأفكاره لئلا تصل إلى أتباعها. ودخل في روع كثير من القيادات أنّ انتشار أفكار المعهد وما فيها من نزعة تجديديّة قد تقلّل من أهميّة المرجعيّات الفكرية لتلك المنظمات والجماعات فبدأت تفكر بعدة طرق لمحاصرة هذا الفكر والحيلولة دونه ودون أعضائها ومنتسبيها وكانت تعتمد في ذلك على أمور عديدة منها بعض ما يقوله رجال المعهد في المحاضرات والندوات فتلتقط عبارات من هنا وهناك ليتم بمقتضاها تصنيف مفكري المعهد ووضع عناوين منفرة للشباب تبعدهم عن القراءة لهؤلاء أو الحرص على حضور ندواتهم والمشاركة في نشاطاتهم أو إشراكهم في المنابر التي يعدونها لمخاطبة الشباب بدلا من أن يعينوا المعهد ويغذوا قنواته الفكرية وبحوثه ودراساته بما ينفع مجمل حركة الصحوة في إطار الأمة كلها. وهذا قد أضاف أعباءً جديدة لأعباء حملة الفكر

في المعهد فكأنَّ مهمتهم لم تعد قاصرة على بلورة أفكار قضايا المعهد وصياغتها وتقديمها، بل صار الدفاع عن تلك الأفكار، ومحاولة حماية المؤسسة الوليد الناشئة والمحافظة على سمعتها عبئاً آخر. كانت السذاجة الفكرية لدى جماهير المسلمين والاحتماء بالتقليد والرغبة في عدم المغامرة بأيّ اجتهاد جديد من السمات الظاهرة في الجماهير المسلمة فقد نواجه بمن يقول: إن عبد الحميد أبو سليمان قد أنكر وجود النار في الآخرة لأنَّه قال مرة: إنَّ رحمة الله واسعة وأنَّ الجانب التربويّ ينبغي أن يلاحظ عدم التخويف الزائد للطفل بالنار وبالعذاب أثناء التعليم. وقد يقال: إنَّ طه جابر قد أنكر السنَّة لأنَّه ناقش حديثاً يتداوله الناس ولا يعرفون صحته من عدمها ولاشتهاره على ألسنتهم وتداولهم إياه يصبح أي نقاش يثار حول سنده أو منته ولو بأهم وأقوى الطرق الفنيَّة التي يتبعها المحدثون موضع مساءلة واعتراض وقد يقال إنَّ المعهد ضد الجماعة الفلانيَّة لمجرد أنَّ شخصاً من منتسبي تلك الجماعة قد تقدم للحصول على وظيفة في المعهد أو منحة دراسيَّة ومساعدة فلم يحصل عليها ولأنَّه لم يحصل عليها فيذهب ليشنَّع بأنَّ المعهد ضد الجماعة التي ينتمي إليها، وأنَّ الأموال التي يدير المعهد بها أعماله الأولى أن تكون تحت تصرف الجماعة التي ينتمي إليها، وما شاكل ذلك. ولذلك وجد المعهد نفسه وقد وضع حاجز وحجاب بينه وبين معظم الجماعات الإسلاميَّة من سلفيَّة وصوفيَّة وحركيَّة وما إليها. ولنكون صرحاء بالقدر الكافي فلا بد من ذكر مواقف بعض الجماعات الإسلاميَّة الكبرى، فذكر تلك المواقف قد يعطي تفسيراً لكثير من القضايا التي يتساءل بعض الشباب عنها.

١- الجماعة الإسلاميَّة في القارة الهنديَّة:

كان رجال المعهد على علاقة طيِّبة جدًّا قبل تأسيس المعهد، بقيادات الجماعة فجل قيادات تلك الجماعة لم يكونوا يتردَّدون في طلب العون من رجال المعهد -قبل التأسيس- سواء في أمريكا في إطار "اتحاد الطلبة المسلمين" أو في بريطانيا أو ليبيا بداية السبعينات أو الرياض في إطار "الندوة العالميَّة للشباب الإسلاميِّ". وحين شعر الأخوة في "الجماعة" في باكستان خاصَّة بأنَّ ضياء الحق قد اقتنع بفكر مجموعة المعهد، واستضاف المؤتمر الأول "لإسلاميَّة المعرفة" وصرَّح لمستشاريه، وللمقربين منه بأنَّ هذا النوع من الفكر هو ما يمكن أن يعزِّز وحدة باكستان لو ساد. وبدأ يفكر بإسناد إدارة الجامعة الإسلاميَّة العالميَّة إلى الفاروقي

أو المعهد ليختار له من يقودها بفكره وفلسفته - كما فعل أنور في ماليزيا- فيما بعد. ثم بدأ تغيير الموقف موقف الجماعة من المعهد ورأت الإنحياز إلى الجماعات التقليدية، ثم استطاعت أن تكون علاقة بين بعض المنتمين لجماعة الإخوان والأزهر للملئ سائر الفراغات التي كانت قائمة في الجامعة وعدم ترك أية فرصة قد تدفع رئيس الجمهورية ضياء الحق إلى إسناد أي دور للمعهد في الجامعة أو غيرها، وبدأ الهمس بانتقاد "المعهد" وفكرة "إسلامية المعرفة" وتكريس الاتجاهات التقليدية في الجامعة، وادعاء أن فكر السيد أبو الأعلى المودودي أرقى وأقوى وأهم من الفكر الذي يقدمه المعهد، ولم يستطيعوا -بعد ذلك- أن يحافظوا على مواقعهم فيها. ولم يقابل رجال المعهد قبل التأسيس ولا بعد ذلك إلا بدفع السيئة بالتي هي أحسن ولا أنسى أن د. أحمد توتونجي وأنا سافرنا من السعودية لمشاركة الجماعة مصابها في زعيمها المودودي والمشاركة في تشييع جنازته، وتقديم واجب التعزية لأهله وذويه وللجماعة. وقد بقي فكر المعهد في باكستان ضعيفاً خلافاً للهند وبنغلاديش.

الجمعية الثقافية:

كان السيد يوسف ندا وشريكه السيد غالب همّت قد أسّسا "جمعية ثقافية" في إنديانا بولس في أمريكا كان على رأس الجمعية محمود أبو السعود يساعده التيجاني أبو جديري وحاج بابا من السودان، والتحق بهم أحمد العسال وكان يفترض أن يلتحق بهم آخرون وأن هذه الجمعية أنيط بها إحصاء وتوثيق وجمع تراث الإخوان المسلمين وتاريخهم من تسجيلات صوتية ومكتوبة بأصوات الأحياء آنذاك منهم. الذين خرجوا من السجن بعد تسلّم السادات السلطة. ويبدو أن تفاهماً جرى بين قيادة "اتحاد الطلبة" ومسئول الجمعية ومسئولي "جمعية علماء الاجتماعات المسلمين" على توجيه الدعوة إلى ثلاثين مفكراً تمكن واحد وعشرون منهم من الحضور والمشاركة ليجمعوا بضيافة "يوسف ندا وغالب همّت" في مدينة "لوكانوا" التي هي مدينة إيطالية سويسرية تقع على بحيرة جميلة جداً وفي موقع سياحي محاط بطبيعة جميلة جداً. وفي فندق مظل على البحيرة قضى المدعوون ما يزيد عن أسبوع كامل ليخرجوا بتصوير متكامل لخطة تستهدف إصلاح مناهج التفكير وتهيئ لبناء مشروع حضاري

كامل على مستوى الأمة المسلمة وعالمنا الإسلامي، وتجد تفاصيل خلاصة تلك المداولات ونتائجها في الملحق رقم (١) لهذه الدراسة^(١٠).

الإخوان المسلمون وموقفهم من المعهد:

إنَّ الكثير من قادة الجماعة كانت تصلهم تقارير شفويّة ومكتوبة من بعض أتباع الجماعة أو مؤيديهم في الولايات المتحدة ملامى بالمبالغات لا يكلف أي منهم نفسه بالتحقق من تلك المبالغات بل يسارعون في أخذ المعلومات كما هي، أليس من رواها عضو في الجماعة؟ وكأنَّ عضويّة هؤلاء كافية لتزكية ما يقولون وتوثيق أولئك الرواة دون بحث في تفاصيل ما جاؤوا به لمعرفة ما إذا كان صادقًا أو كاذبًا فلمهم أنّ من يأتي بالخبر أو الدعوى عضو مبيع ومن توجه التهمة إليه ليس عضوًا ولا مبيعًا. ومن هنا فقد بدأت الجماعة تنظر إلى المعهد نظرة فيها الكثير من الجوانب التي تشير إلى وجود أزمة ثقة بين الجماعة وبين المعهد، خاصة وأنَّ بعض المؤسسين كانت لهم علاقات في بلدانهم بالجماعة ثم توقفت؛ ولذلك أخذت جهات كثيرة من المسؤولين عن نشاطات الجماعة في الولايات المتحدة من مخيمات ومؤتمرات تستبعد رجال المعهد من المشاركة والمحاضرة فيها. وقد كتب مرشد الجماعة آنذاك الراحل عمر التلمساني -يرحمه الله- في مجلة المسلمون السعوديّة مقالة بعنوان "كلمتان لا تنزلان لي من زور" الفكر الإسلامي وإسلاميّة المعرفة" وهما عنوانان لمجموع نشاطات المعهد وأهدافه. وحينما عوتب من الدكتور عبد الحميد ومني على تلك المقالة تلفونيا أكد أنه لا يقصد المعهد ولا رجاله ولكنّه يقصد جهات أخرى لكن ذلك لم يعالج أزمة الثقة التي كنّا نشهدها في سائر المجالات من ناحيتهم في حين أنّنا لم نحاول أن نقوم بعمل المثل بل استمرت ندواتنا وأنشطتنا كلها مفتوحة للجميع وحين شكلنا صندوق القروض الدراسية كان لأعضاء الجماعة في مصر والسودان وغيرهما النصيب الأوفى والأوفر من القروض الدراسيّة التي قدمها المعهد للمبتعثين.

الرقباء الاثنا عشر:

فوجئنا ذات مرة بمسؤول الجماعة في أمريكا والدكتور أحمد القاضي -يرحمه الله- يرسلان لنا برسالة مفادها: أنّ الجماعة تقترح إذا كان المعهد حريصا على أن يحصل على

(١٠) الملحق رقم (١).

اعترافها به وفتح أبواب الجماعة أمامه وأمام رجاله للمشاركة في أنشطتها أن يبايع أعضاؤه مرشد الجماعة أو يقبلوا رقابة إثني عشر عضو في لجنة اقترحت الجماعة تشكيلها وأعطتها صلاحية النظر في كل كتاب يعده المعهد للنشر وهي التي تقرر ما ينبغي أن ينشر دون تعديل وما ينبغي أن يعدل فعلينا أن نحيل أية دراسات ترشح للنشر من قبلنا إلى هذه اللجنة لتجيزها كما هي أو تقترح ما تراه من تعديلات وعلينا القيام بها أو تقترح عدم النشر وعلينا الالتزام بذلك. وحينما وصلتنا الرسالة بلغ بنا جميعا الغضب مداه فكلنا أناس قد تركنا بلادنا وديارنا بحثا عن "الحرية" وفي مقدمتها "حرية الكلمة وحرية التعبير وحرية النشر والكتابة والطباعة" وما إلى ذلك فهل من المعقول أن نتقبل فرض هذا النوع من الرقابة علينا مختارين لمجرد أنّ الجماعة ترى ذلك؟ كان ردنا موازيا في قوة الرفض فيه للجرأة التي واتت المسؤولين عن هذه الجماعة حين وجهوا إلى أمثالنا ذلك الأمر!! وعندما تصفحنا أسماء المرشحين وجدنا أن اسمين فقط يمكن أن نقبل آراءهما ورؤيتهما ونحترمها ونطرحها للنقاش لو حدث وتقدموا لنا بآراء ومقترحات حول أيّ كتاب من تلك الكتب أما العشرة الآخرون فبعضهم لا يعدو أن يكون في مستوى طلابي أو طلاب الدكتور عبد الحميد حين كنا ندرس في الجامعة!

وهنا احتدمت المعركة وبدأنا نسمع بمناسبة وبغير مناسبة كثيرا من النقد الذي بلغ في بعض الأحيان مستوى الإسفاف والاتهام بالدين والذمة وما شاكل ذلك لمجرد أنّ رجال المعهد "لم يبايعوا التنظيم" فكنا نعادي ونهاجم في المواقع التي يسيطر عليها من يعتبرون أعضاء في التنظيم حتى لو لم يتوافر فيهم (الا ما يشبه الدعاء في خطبة الجمعة في أواخر العصر العباسي) ففي العصر العباسي الأخير كان الخلفاء الضعفاء يكتفون من النفوذ والسلطان بدعاء خطبة الجمعة ولو كانت المقاليد -كلها- بأيدي المماليك والسلاجقة والديلم ومن إليهم. والجماعة كانت تهتم "بالبيعة" بقطع النظر عن أي شيء آخر.

زيارة الدكتور أحمد الملط وطلب البيعة:

ذات يوم اتّصل بي أحد الشباب علمت فيما بعد أنّه زوج كريمة د. الملط يقول لي: "إنّ العم د. أحمد في زيارة لنا هنا في الولايات المتحدة الأمريكية ويريد أن يلقاك وإخوانك المسؤولين في المعهد للتحدث معكم" قلت: مرحبًا به ونحن في الانتظار إن شاء في مكتب

المعهد وإن شاء في بيت أحد منّا وودعني وقال: سيكلمني ثانية، كلمني بعد قليل فقال: إنّ الدكتور يفضل اللقاء بكم في مكان محايد ويرجو أن تكونوا حاضرين جميعاً. قلت: سأستأجر غرفة اجتماع في أحد الفنادق القريبة من مطار "Dulles" وأخبرك ما دام الدكتور مصرّاً على أن يلقانا بعيداً عن مكاتبنا وبيوتنا. وبالفعل استأجرت غرفة في فندق ماريوت المطار. ودعوت الإخوة عبد الحميد وجمالاً وهشاماً وكانوا في حالة استغراب واندعاش أمام طلبه "المكان المحايد". وذهبنا ننتظر في تلك الغرفة وبعد قليل وصل الرجل ومعه د. أحمد القاضي -يرحمهما الله، والسيد ناظم منقارة مسئول الجماعة آنذاك في أمريكا فأبدى د. الملط تدمره لما رأى من كثرة الخمر في البار الذي يقع على يسار الداخل إلى الفندق، فقلت له: يعز علينا أنّك قد رأيت ما تكره ونكره ولو جئت إلى مكتبنا لوجدت المسجد والمكتبة وكذلك لو زرت أيّاً من بيوتنا!! على كل هذا هو المكان المحايد الذي طلبت فإن كان هذا يضايقك فبإمكاننا أن نذهب بك إلى مكتبنا وهو قريب لا يبعد أكثر من سبع دقائق عن هذا المكان؟ قال: لا "هي كلمة وردّ غطاها!! قلنا: تفضل كلنا آذان صاغية!! فبدأ يتحدث عن ذكرياته في السجن، ومعاناته ومعاناة إخوانه فيه. فلم نقاطعه حتى توقف بنفسه بعد ما يزيد عن ساعتين. ثم قال: ملتفتاً إلينا نحن رجال المعهد الأربعة: "أنتم تنتجون أفكاراً إسلامية وشبابنا يقرؤون لكم، وقد يتأثرون بأفكاركم التي تطرحونها، ولنطمئن إلى أنّ أفكاركم لن تهدم ما بنى في عقول أبنائنا ولا تتناقض مع خطط الجماعة وأهدافها فقد اقترحنا عليكم لجنة تقرأ ما تريدون طباعته ونشره لتقرّه أو تطالبكم بتعديله لكي ينسجم وفكر الجماعة وقد أبلغنا بأنكم رفضتم ذلك!! فإذا كنتم ما تزالون حريصين على الانفتاح على شبابنا وترويج كتبكم بينهم، ومشاركتهم أنشطتهم محاضرين ومشاركين فلا بد لكم من "البيعة" وقد جئت لأعرض عليكم أحد هذين الأمرين قبول "لجنة الرقابة الأثني عشرية" لأنها كانت مؤلفة من اثني عشر رقيباً، أو "البيعة". ولأنني كنت رئيس المعهد فكان لا بد أن أبدأ بالرد!! فقلت له: دكتور أعرف أن هناك (١٧٠٠) دار نشر مملوكة لأعضاء في جماعتكم فهل تراقبون كل ما يصدر عن هذه الدور كلّها؟ هبّ أنّ المعهد دار نشر فلم لا تجعل هذا العدد الكبير يزداد واحداً، قال: الأمر مختلف؛ فتنوع إنتاجكم فكريّة قد تصادم آراء وأفكار وأقوال رجال الجماعة فقد يقول رجال الجماعة للأعضاء: اذهبوا يميناً وتقول أنت لهم: لا

اذهبوا يسارًا. ثم إنَّ الناشرين الآخرين يعرفون سياسات الجماعة ومبايعون لمرشدهم، فلا يتوقع أن يقوموا بما يخالف ذلك!! ولذلك فإننا ندعوكم للبيعة، أو لقبول رقابة اللجنة المرشحة لكم!!

قلت: استثنى اثنين فقط من الاثني عشر الذين رشحتهم للإشراف علينا هما الشيخ القرضاوي ويوسف العظم-يرحمه الله.

أمَّا العشرة الآخرون فلا يرضى أيّ منّا بهم تلامذة فضلًا عن أن يكونوا موجّهين لما ننشر ولما لا ننشر. ثم قلت له: أنا تركت بلدي العراق، وتركت فيه كل ما أملك فرارًا بحريّتي أتراني -الآن- قادرًا على التنازل عنها لك وللجماعة؟ إنَّ ذلك ضرب من المستحيل!!

الأمر الثاني دعني أدلّك على ما هو أفضل؟ وهو أن تمنع أعضاءك الذين بايعوك من قراءة كتبنا، وتريح وتستريح. فأنا أطرح كتيبي في الأسواق، وللناس أن يقتنوها أو يتجاهلوها. ثم إنني لأرجو أن تقبل هديّة منّا جميع ما أصدرناه حتى اليوم بأقلامنا أو أقلام من استكتبناهم، وأحلها إلى اللجنة التي رشحتهم أو غيرها فما وجدتم فيها مما لكم عليه ملاحظة استبعدناه في الطبعات التالية وما وجدتموه صالحًا وملائمًا فدعوا أبنائكم يستفيدون به إن شاءوا. ثم بدأ عبد الحميد فكان أقسى وأشد وأكثر صرامة في رفض ما طرح، ونحوه نحا جمال فما كان من أحمد القاضي -يرحمه الله- إلا أن مدّ يده للدكتور الملط وقال له: امدد يمينك يا فضيلة نائب المرشد لا بايعك نيابة عنهم، فقلنا عبد الحميد وأنا بصوت واحد: لو أردنا ذلك لفعلنا بأنفسنا فليس لك يا دكتور أحمد أن تبايعه عنا ونحن حضور وبكامل قوانا العقلية نرفض ذلك مع حرصنا على الاحتفاظ بصدقاتكم. مؤكدين أن ذلك لن يؤثر في نظرة الاحترام الذي نكنّه لكم جميعا.

وانتهت الجلسة بغداء دعوناه إليه فاستجاب بعد شيء من تردد أزاله د. أحمد القاضي. وقد سلمنا د. الملط صندوقين هي مجموعة مطبوعاتنا -آنذاك- وطلبنا منه تكليف من يرون بدراستها، وبيان ما قد يروونه خارجًا عن الفكر الإسلامي الصحيح بدليله لكي نقوم بتعديله في المستقبل. وأخذوا الكتب ولم نسمع منهم حتى يومنا هذا شيئًا. ولما زرت مصر بعد ذلك زرت المرشد أبا النصر ونائبه الأول السيد مصطفى مشهور وحاولت إقناعهما بأنّ المعهد لا ينافس الجماعة على موقعها، ولا يحاول أن يتدخل في شؤونها. أو يعيّر من ولاء

أعضائها لها، لأنّ ميدان اهتمامات المعهد ميدان آخر. ومع ذلك فلم يتغير الموقف ولم يُجد ما فعلناه في كسب ودّهم أو تحييد مواقفهم من المعهد وأفكاره.

ومن الجدير بالذكر أنّ المرحوم "أبو النصر" استمر طيلة جلستي معه ومع الأستاذ مصطفى مشهور يتحدث إليّ وكأنّني سفير لأمريكا في مصر مرة بلهجة اعتذار نحو "نحن لا نعادي أمريكا" وليتك تبلغهم هذا ومرات بشكل آخر فيه عتاب على أمريكا فكنت أبتسم، ويلاحظ الأستاذ مصطفى مشهور -يرحمه الله- هذا فيقول له: يا فضيلة المرشد هذا ليس مسؤلاً أمريكيّاً هذا أخونا الدكتور طه جابر نساءل الله لنا ولهم جميعاً المغفرة والرحمة والرضوان.

صندوق القروض الدراسية:

في بدايات تأسيس المعهد وفي نهاية سنة (١٩٨٥م) كان المعهد قد رصد بالتعاون مع بعض الجهات الخيرية مبلغاً قدره مليوناً دولار على أن يعمل على زيادة المبلغ الموقوف حتى يبلغ خمسة ملايين ليصبح وفقاً قادراً على تقديم ما يقرب من نصف مليون دولار سنوياً ينفق منها على مشاريعه البحثية الطموحة لإنتاج كتب منهجية في "العلوم الاجتماعية والإنسانية المؤسّلة". وكان أحد الوزراء في حكومة دولة الإمارات إخوانياً فقدم منحاً دراسية في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها لطلبة عرب من معظم البلدان العربية التي ليس من السهل عليها أن تقدم منحاً دراسية لأبنائها خاصّة إذا كانوا إسلاميين وشملهم بذلك أسوة بأبناء الإمارات نفسها. لقد كانت بادرة طيبة من الرجل وحكومته، ومن الشيخ زايد -يرحمه الله- شخصياً. ولكن ما إن غيّر الوزير وجاء وزير آخر ينتمي إلى اتجاه مغاير حتى ألغى تلك المنح بعد أن كان أولئك الطلبة، وجلّهم من السودان ومصر وفلسطين وبعض العراقيين -كانوا قد قطعوا أشواطاً مهمة في دراساتهم، بعضهم لم يكن بينه وبين التخرج إلا سنة تزيد أو تنقص، فوجد هؤلاء أنفسهم في الشارع فهرع د. أحمد القاضي -يرحمه الله- وآخرون من قيادات جماعة الإخوان يطلبون النجدة لإخوانهم من كل مكان فلم يجدوا آذاناً صاغية ثم انتهى بهم المطاف إلى المعهد، وإذا بالإخوة رجال المعهد تتحرك لديهم النخوة كل بطريقته، فقالوا: لم لا نوّسس صندوقاً للقروض الدراسية لهؤلاء بأموال "البحوث والدراسات" ونعمل على توجيهه بحوثهم ودراساتهم للدكتوراة إلى أولوياتنا البحثية؟ وبذلك نكون قد ساعدناهم وحصلنا على

بحوث ودراسات وفقاً لخارطة اهتماماتنا البحثية؟! وانشغالهم بهذه البحوث سيجعلهم قادرين على أن يكونوا -أيضاً- كوادري في قضايا الأسملة. كما أننا لن نقدم ما سنقدم منحنًا بل قروضًا واجبة الرد. ونطلب منهم ضمانات لهذه القروض وتزكيات من قيادات الجماعة في مصر والسودان وغيرهما، وتم على مستوى الأوراق اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة. وتخرج هؤلاء جميعاً ولم يوف من بين مائة وثمانين مستفيداً من هؤلاء بما التزم به الاثنان أحدهما عراقي تخرج مهندساً زراعياً والثاني فلسطيني تخرج طبيباً، هؤلاء الاثنان فقط وفيما بما التزم به، وأما الآخرون فلم يوف أحد منهم بشيء مما اقترضه وحين تحدثنا إلى قادتهم الذين منحوهم التزكيات أجابنا نائب المرشد الأستاذ مصطفى مشهور: " يا أخي لسنا جباة ولا نستطيع أن نفرض عليهم تسديد تلك القروض". كنت أقول: ولكنكم زكيتموهم لنا ولولا ذلك لما اقترضناهم. فلم نحصل على شيء فقلت لأولئك القادة: خذوا نصف المبلغ من كل منهم لكم وردوا علينا النصف فلم يجد ذلك شيئاً. ثم قلنا لهم: خذوا القروض -كلها- منهم لئلا يتساهلوا في أكل أموال ليست لهم بالباطل وتلك جريمة كبيرة نود أن تمنعوهم منها. ولا ندري ما حدث والأخوة في السودان لم تكن ردودهم بأفضل من ردود إخوانهم في مصر. وهكذا ضاع علينا مليون وثمانمائة ألف دولار. في حين أنّ الكنائس حين تقرض طلاباً في أمريكا فإنّ الطالب يرد بعد التخرج كل ما أنفق عليه، ويحمل بنفقاته طالباً آخر في حاجة إلى العون. وإنّ أنس لا أنس أنّ أحد هؤلاء الطلاب الذين استفادوا من قروض المعهد الدراسية وكان من السودان قدّم لي طلباً لما سماه برحلة علمية من أمريكا إلى السعودية لقضاء شهر في استجواب بعض العمال السودانيين مدعيّاً أنّ رسالته للدكتوراة تتوقف على ذلك، وحين استكثرت المبلغ وقلت له: ائتنا بأسئلتك ونحن نكلّف أحد الأساتذة في السعودية لاستجواب الشرائح التي تريد استجوابها وموافاتك بالإجابات غضب جداً وقال بصوت عال وهو يغادر مكتبي: يا أخي لم هذا البخل علينا وقد جمعتم من أموال المسلمين باسمنا نحن الطلاب المسلمين مليار دولار لتفوقها علينا فلم تبخل علي بخمسة آلاف دولار لتغطية سفري إلى السعودية؟! فناديته، وقلت له أخي الكريم انتظر لأعطيك تفويضاً تسحب بمقتضاه (٩٠٠) مليوناً وتترك لنا مائة واحدة لبحوثنا ودراساتنا ومساعدة أمثالك وهم أكثر ولك أن تتصرّف بالباقي -كله- فحجل الرجل وانصرف.

وهذا يبيّن طرق التفكير الخاطئة والملتوية، وكيف يشجع الشيطان أوليائه على استحلال ما لا يستحقون بشائعات أو ظنون حتى يصرفهم عن مجرد الاعتراف بالجميل أو الإقرار بالفضل لأهله.

وقد تبرع الملك فهد في إحدى زيارته لواشنطن برعاية من كان قد بقي منهم على مقاعد الدرس وطلبت سفارة المملكة السعودية من سفارة الإمارات ومن المعهد أسماء من لم يتخرجوا منهم حتى ذلك الوقت ليتولوا الإنفاق عليهم من حساب الملك. وسلمنا أسمائهم بوساطة د. أحمد القاضي -يرحمه الله- إذا بمن بقي من هؤلاء يوجهون للمعهد تهمة "التجسس لصالح السعودية" لأنّه تعاون مع مكتب الملحق الثقافي السعوديّ وسفارة الإمارات بالتفاهم مع قياداتهم -آنذاك- ليحمّلوا ما بقي من دراستهم بنفقه الملك، لعنا نستطيع أن نعيد بناء ميزانيّة "البحوث والدراسات" ورسالتنا التي نذرنا أنفسنا إليها!! فهل نضيف إلى أزمة الفكر أزمة الأخلاق والقيم والوفاء؟! نعم إنّها أزمة مركبة "ظلمات بعضها فوق بعض".

وقد اشتكى المعهد أولئك الطلبة الذين تولوا نشر الشائعات والأراجيف ضده وضد رجاله وكان منهم واحد من أولئك المبتعثين تقدم إلى المعهد بطلب أن يشتغل في المعهد لأنّ ضميره لا يسمح له بأن يظل مديناً لفترة طويلة فهو يريد أن يعمل في المعهد ويخصم المعهد من أجوره في كل شهر بعض ما يزيد عن حاجته ليسدد قرض المعهد عليه وأخذ رجال المعهد ببراءة شديدة هذا الطلب على محمل الظن الحسن وتم تكليف الرجل بالعمل في مكتبة المعهد فكان يبيع لنفسه تفتيش جيوب رجال المعهد بحثاً عن أية ورقة يمكن أن يصوغ بها شائعة أو مقولة ضد المعهد وبعد أن تحرى مسئول الجماعة الدكتور أحمد القاضي مصادر الشائعات والأراجيف والأكاذيب التي كانت تصاغ ضد المعهد اكتشف أن أهم مصادرها ذلك الأخ وقرر محاكمته وطلب حضور رجال المعهد لتلك المحكمة التنظيمية وإذا بالرجل يأتي بمجموعة من الخطابات كان يسرقها من ملفات المعهد ويفسرها كما يشاء على طريقة "ويل للمصلين" ويذهب بعض تلك الأوراق إلى بعض السفارات في واشنطن بوساطة وسيط آخر للتحريض على المعهد مؤسسة ورسالة ورجالا وحين جابهه مسئول تنظيمهم بكل ذلك، وبيّن له أنّه قد أساء وافترى وأضر بإخوانه وبالجماعة وتجاوز حدود الخلق الإسلاميّ أصر

على أنه إنما فعل ذلك دفاعاً عن الجماعة وحماية لها من مؤامرات المعهد الذي كان يعتبره عدواً للجماعة وحكم أحمد القاضي -يرحمه الله- عليه بالتجميد لمدة عام وانتهى الأمر عند ذلك. فيإلا ضيعة الأخلاق والمثل والدين والقيم بين العُقد والمعقدين!!

إيران والمعهد:

كان د. فاروقي -يرحمه الله- قد زار إيران بعد الثورة، وشارك في مؤتمرات فيها، وكان كثير من المفكرين الإيرانيين يحترمونه، ولكنهم مع ذلك أعلنوا منذ البداية: بأنهم يؤمنون "بإسلامية العلماء" لا "بإسلامية المعرفة" فالعلماء هم الذين يسلمون أو يكفرون؛ أما "المعرفة" في ذاتها فهي محايدة.

ولذلك فقد عطلوا كثيراً من الجامعات الإيرانية بعد الثورة لثلاث سنوات لإعادة النظر في كوادرات التعليم الجامعي، ومراجعة أفكارهم وانتماءاتهم ومراجعة البرامج الدراسية. وكان كثير من المشايخ والمفكرين يرون في "مجموعة المعهد" مجموعة نظرية حاملة إلى أن زرت إيران لعدة مرات وحاضرت في جامعات مختارة من جامعاتها، وانشأنا مكتب اتصال وترجمة قام بترجمة بعض كتب المعهد إلى الفارسية، وزرنا عددًا من علمائها فبدأت بعض كتبنا وما تحمله من أفكار تجدد بعض القبول لدى بعض المثقفين الإيرانيين.

وصارت قضية إسلامية المعرفة ضمن أجندة الفكر الإسلامي المعاصر في إيران يتداولها كثير من أهل العلم والحوزويين ولكن لم تتحول تلك العلاقة إلى علاقة وثيقة لطبيعة ونوعية الفكر الإسلامي الشائع والمتداول في إيران الثورة ولم تشق طريقها كما حدث لأفكار شريعتي ومطهري وبهشتي -يرحمهم الله جميعاً.

السودان:

كان أكثر البلدان تجاوباً على مستوى مثقفيه. فقد شارك في مؤتمر "لوكانو" التأسيسي الدكتور التيجاني أبو جديري -يرحمه الله- الذي كان قيادياً بارزاً في "اتحاد الطلبة المسلمين وفي الجمعية الثقافية" التي وجهت الدعوة إلى المؤتمر التأسيسي الذي تقرر فيه تأسيس المعهد. برئاسة محمود أبو السعود.

كما شارك فيه جعفر شيخ إدريس قبل أن تزيد عنده نسبة "التسلف على نسبة التفلسف والمعرفة". ورؤي لغرض عضوية الندوة والمشاركة في أعمالها وخدمة الفكر

الإسلامي ورفع كفاية ادائه وتنسيق جهوده ضرورة عمل حصر للمفكرين الإسلاميين وتخصصاتهم لمحاولة الاستفادة بهم وإبرازهم عالمياً.

وجرى بحث التمويل اللازم لأعمال الندوة ورؤي أن يتم في الدائرة الإسلامية من قبل الأفراد والهيئات غير الحكومية وبشكل لا يؤدي إلى علاقة تبعية أو يشكل بأي حال قيوداً فكرية من خارج الندوة مع الاستفادة من جهود كافة الجهات الإسلامية ومؤسساتها في تحقيق خطة وأولويات أعمال الندوة من خلال الاهتمام والجهود الفردية لأعضاء الندوة.

كان الشيخ حسن الترابي مفكراً وسياسياً من طراز قادر على التأثير في الشباب وأخذ أحسن ما يستطيع منهم دون كبير تدخل منه في شئونهم أو تحويل وجهتهم إذ المهم عنده أن يعطي المتصل بتنظيمه كل ما يستطيع أن يعطيه ليوظفه الشيخ بطريقته التي صارت معروفة وكتب عنها الكثيرون مثل الدكتور عبد الوهاب الأفندي وغيره وكان من الصعب على مفكر في مستوى الشيخ حسن وعقليته وطريقته ونفسيته أن تكون هناك هيئة موازية تفصل فصلاً كالذي كان المعهد يتبناه بين التركيز على الصياغات النظرية مع البعد التام عن التفعيل خاصة في المجال السياسي، لكن الدكتور حسن بطريقته الدبلوماسية كان حريصاً أن يكون صديقاً للمعهد ورجاله غير بعيد عنهم، وإن كان يعتبر أنّ طريقته مغايرة لطريقته وبعد أن نجحت ثورة الإنقاذ وصار الشيخ حسن بمثابة مرشد الثورة في السودان، له اليد الطولى في ما يصاغ ويجري فيه جاء المرحوم أحمد عثمان المكي ليقول لي: أظن أنّ الحكم الشرعي الآن يوجب عليكم يا أصحاب المعهد أن تنتقلوا بمعهدكم وأمواله وأوقافه إلى السودان لتمارسوا عملكم من هناك فهو -الآن- الدولة الإسلامية الوحيدة على وجه الأرض بحيث يلزمكم الانضمام إليها ودعمها وتقويتها والاستفادة من إمكانات السودان في مشروعكم أيضاً. وأبدي استعداداه لمفاتيح القيادة السودانية لتخصيص قطعة من الأرض على النيل في أحسن موقع من الخرطوم ليكون مقراً للمعهد ويمارس منه وفيه نشاطه فشكرناه على أريحيته وأريحية الثورة، واعتذرنا وأكدنا أنّ المعهد واهتماماته الفكرية تفرض عليه أن يكون في بيئة مثل بيئة الولايات المتحدة الأمريكية، وظل يلح على ذلك إلى أن انتقل إلى رحمة الله، ولم يخبرني ما إذا كان اقتراحه ذاك جاء بتفاهم واتفق مع القيادة السودانية أو كان مبادرة وحلماً من عنده.

محاولة الانفتاح على القوى القومية:

إنّ أيّ مشروع حضاريّ يراد له أن يأخذ سمّة مشروع تجديديّ على مستوى الأُمَّة لا بد أن يلاحظ سائر أبنائها وخاصة أولئك الذين لديهم مشاريع تستهدف الهدف ذاته ولو بطرق أخرى؛ لأنّ "المشروع الحضاريّ" الذي يعجز عن تحريك طاقات الأُمَّة -كلّها- لا يمكن له أن ينجح ويحقق أهدافه ومن هنا فقد كنت أحض نفسي وإخواني باستمرار على أن ندرك مهمتنا تلك التي لا يمكن تحقيقها إلا بالانفتاح على طاقات الأُمَّة المخلصة كلّها حتى لو اختلفت توجهاتها واتجاهاتها الفكرية في بعض القضايا. وذات مرة كنت في الرباط أحضر ندوة هيأ لها "الإسككو" جمع فيها مجموعة من المفكرين والأساتذة وحملة هموم الأُمَّة كان منهم أنور الجندي ومحمد عبد الله السمان ومحمد بريس وآخرون من الإسلاميين إضافة إلى محي الدين صابر الذي كان يدير "الألسكو" -آنذاك- ومحمد خشيم وبعض الأساتذة القوميين. موضوع الندوة كان يندرج في إطار جهود "الإسككو" لإيجاد "استراتيجية ثقافية إسلامية" تعزز وتدعم الاستراتيجية الثقافية العربية، وقد تستدرك عليها بعض ما قد يكون فاتحاً. وحدثت مشادة عنيفة بين الأستاذ أنور الجندي والأستاذ السمان -يرحمهما الله- والدكتور محمد خشيم والدكتور محي الدين صابر تجاوز النقاش فيها المستوى الذي لا ينبغي تجاوزه وفحأة وجدنا أنفسنا جميعاً في إطار حديث صاحب وجه فيه الأستاذان الجندي والسمان نقداً لادعا لنظام الرئيس ناصر وموقفه من الإسلام والإسلاميين ووقف الدكتور خشيم والآخرون موقف المدافع مع نبرة لا تخلو من اتهام بأنّ الإخوان هم الذين استدرجوا النظام لمعادتهم وزجهم في السجون وما إلى ذلك، فوقفت أهدئ الطرفين مؤكداً لهم مع بعض الإخوة الآخرين بأنّ هذا أمرٌ قد مضى ولا ينبغي لنا أن نظل أسرى فيه ولا بد من تجاوزه وفقاً للمبدأ القرآني الحكيم ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٣٤) ثم جاء د. محي الدين صابر وشكر لي موقفي، ووجدتها فرصة لأن أتحدث معه عن ندوة ترعاها مؤسسات أربعة هي الأيسسكو والإسككو والمعهد العالمي للفكر الإسلامي ومركز دراسات الوحدة العربية لعقد سلسلة من الندوات التي تحاول أن ترأب الصدع وتعيد الصفاء في العلاقات إلى عناصر النخبة في أمتنا وهي قليلة جداً وتصفية اختلافاتها المذكورة حول الماضي ومنه ما جر النقاش إليه في ندوتنا هذه بين القوميين

والإسلاميين وبعد مناقشة مستفيضة بيني وبين محي الدين صابر اتفق الرأي أن يقوم بهذا الجهد المعهد العالمي للفكر الإسلامي ومركز دراسات الوحدة لكي لا تدخل الصبغة السياسية إلى هذه الجهود وتأخذ هذه الجهود شكلها الأكاديمي واقترح علي الاتصال بخير الدين حسيب وأنه أي محي الدين صابر سيتصل به ويخبره بما تحدثنا فيه ويؤكد عليه ضرورة التعاون معي في هذا المجال لعلنا ننتهي بتقريب وجهات النظر بين الإسلاميين والقوميين ونجمعهم على صعيد واحد ونجعل من لقاءهم وتعاونهم منطلقاً لتجميع فئات الأمة الأخرى لعلنا نخرج بتصوير مقارب نستطيع به ومن خلاله خدمة أمتنا وبناء "مشروع حضاري مشترك" يتمكن من توحيد طاقات الجميع وبعد أن أخبرني محي الدين صابر بترحيب خير الدين حسيب بالفكرة وحماسه لها قرّرت زيارته، وخيّرت بين أن يحضر هو لواشنطن أو أذهب إليه في لندن أو بيروت فرحب الرجل بالمجيئ إلى واشنطن وكانت لدينا ندوة أقمناها بالتعاون مع وزارة الأوقاف الكويتية عام (١٩٩٢م) حول التعددية فرحب بالمشاركة فيها وأعد بحثاً وقدمه وعقدنا عدة جلسات في واشنطن إحداها كانت في منزلي وبحضور زوجتي الراحلة أم الفضل الدكتورة منى وعدد آخر من الباحثين والأساتذة الذين شاركوا في الندوة. وحين أُلحنا للفكرة على أنّها مجرد فكرة وجدنا من الجميع ترحيباً حاراً في الأمر، وعقدنا اجتماعين شارك فيهما الدكتور جمال والدكتور عبد الحميد والدكتور هشام الذين لم يخف أيّ منهما ترحيبه بل تمنّيه أن يحدث هذا، ثم اتفقنا أن يكون لدينا اجتماع آخر في ماليزيا باستضافة الدكتور عبد الحميد والجامعة لنضع اللّمسات الأخيرة لمشروع الاتفاق وهل يكون اتفاق تعاون مع احتفاظ كل مؤسسة بشخصيتها المستقلة أو نخطوا فيه خطوات أوسع باتجاه الاندماج عندما تأتي الظروف المواتية. وواصلت تواصلني مع الأستاذ خير الدين حسيب الذي لم يفقد حماسه للمشروع إلا عندما لاحظ شيئاً من التلكؤ في إنجاز الاجتماع الذي اتفق عليه في ماليزيا وشعر كأن هناك شيئاً من التردّد في إنجاز الاتفاق الذي لم ينجز للأسف الشديد بالرغم من أنّه لو حدث لخطونا بالمؤسستين خطوات كبيرة إلى الأمام، وجعلنا منهما حجر زاوية في توحيد النخبة العربية والمثقفين على اختلاف اتجاهاتهم وربطهم بمشروع حضاري مشترك، لا شك أنّه لو اجتمعت الكلمة عليه لما آلت الأمور إلى ما آلت إليه. ويسرني أن أضع إحدى الرسائل المتبادلة بين الأستاذ خير الدين وبينني في ملاحق هذه الدراسة وورقة العمل التي

أعددتها لتكون ورقة عمل مشتركة وقبلها الأستاذ خير الدين بدون تعديل يذكر. وقد انطلق الأستاذ خير الدين حسيب بطاقاته وأسلوبه العملي نحو مشروع الحوار الإسلامي العربي إلى جانب مشروع حوار قومي - قومي وكان ينبغي أن يبدأ المعهد من ناحيته بمشروع حوار إسلامي - إسلامي لعله ينتهي إلى توحيد الفصائل الإسلامية وجمع كلمتها وينتهي الحوار القومي الداخلي أيضا بنوع من التنسيق والتفاهم يسمح بتوحد كل هذه الفصائل القومية والإسلامية وراء مشروع حضاري مشترك حتى لو كان مستوى التوحيد بين هذه الفرقاء مستوى التأليف والتنسيق إلى أن تأتي ظروف أخرى تسمح بما هو أكثر. فشل هذه المحاولة رغم الحرص الشديد جعل كلا من المؤسستين تنطلق في مجال محدود تمتزج فيه الجهود الفكرية بالجهود الأخرى التي جعلت التفكير بالمشروع الحضاري على مستوى الأمة انطلاقا من المنطقة العربية والناطقين باللغة العربية دون مستوى الطموح.

ثانياً إطار العمل المقترح للمستقبل:

سلخ المعهد من عمره ما يزيد عن ثلاثين عامًا وإذا أردنا أن نضيف إليها الجهود التي بدأت في دوائر اتحاد الطلبة المسلمين في أمريكا وجمعية علماء الاجتماعيات والجمعيات المتخصصة والتجارب الغنية لمدة تجاوزت عشر سنوات في الجامعة الإسلامية العالمية وتجربة جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية فذلك يعني أن هذا الخط أو التيار الفكري قد أمضى ما يقرب من أربعين عامًا في تجارب مختلفة وقنوات متعددة وأن تقييم أفعاله ومنجزاته وآثاره في الأمة تقتضي نسقًا قياسيًّا وميزانًا دقيقًا عادلاً؛ لكي يبين لكل من شاركوا في تأسيسه أو اتصلوا به واتصل بهم وأعطوه كل وقتهم أو بعضه أين نجح وكيف ولما وما الذي سوف يبتني على نجاحه فيما نجح فيه وأين قصر أو أخفق وما الذي يمكن بناؤه على ذلك وكيف وهل من سبيل لتلافيه ومن الذي سيتلافاه؟.

الحق أننا منذ التأسيس والمجموعة كلها تتحدث عن خط ثانٍ وكيفية إيجاد ذلك الخط الثاني ولحد الآن بالرغم من المؤسسات الثلاثين واثنين والفروع الثمانية عشرة (مكاتب المعهد) لكننا حين نأتي إلى الخط الثاني لا نجد من يمكن أن نسميهم خطأً ثانيًا تكون وتشكل ليكون خطأً ثانيًا في هذه المؤسسة وهذه القضية لأسباب عديدة. أما أبناء المجموعة المؤسسة وبناتهم فقد آثروا شق طريقهم خارج المؤسسة التي بناها آباؤهم عدا أفرادًا معينين لم

يحاولوا أن يبعدوا عن الأفكار وإن بعدوا عن المؤسسة فقليل هم الأبناء أو البنات الذين آمنوا بأفكار آبائهم وارتقوا إلى مستوى معرفة وإدراك أهمية ما فعلوه وما كانوا يطمحون إليه أو إلى تحقيقه ومع أنهم دون استثناءات تذكر يتسمون بالذكاء والقدرة والالتزام الإسلاميّ فإنّ قليلين منهم أبدوا استعدادًا أو رغبة لأن يحملوا ذات الهم الذي حمله آباؤهم. وأضع في مقدمتهم زينب طه جابر وأحمد طه جابر ورقية طه جابر لخبرتي الدقيقة بهم وعمر توتونجي وكذلك أبرز تلامذة الدكتور منى وهم كثير وبعض تلامذتنا المغاربة وهم كثير كذلك وآخرون، والعدد القليل منهم شق طريقه بصعوبة بالغة ولم يجد من جيل الآباء الرعاية والتوجيه الذي يجعله يتبنّى رسالتهم وقضيتهم ويسعى بتصميم وإخلاص ليكون امتدادًا لهم، وأما تلامذتهم ومساعدوهم والذين عملوا معهم في تلك المؤسسات فلا ينكر أنّ هناك لفيّفاً من هؤلاء تأثروا بالرسالة وتعلموها وظهرت عليهم استعدادات طيبة للانخراط في جيل يتواصل ويستمر مع الجيل الأول في شق الطريق لهذه الرسالة والوصول إلى مديات أفضل مما وصل إليه آباؤهم.

وأما حقل المطبوعات فلا شك أنّ المعهد -بفضل الله- قد أثرى السوق الإسلامي للكتب بدراسات ومؤلفات لولا جهوده وجهود القائمين عليه ما رأت النور، فالمعهد قد قدم للكتاب الإسلاميّ مشروعًا في العلاقات الدوليّة ومشروعًا في الاقتصاد الإسلاميّ ومشروعًا في علم النفس وجهودا مباركة في محاولات الإصلاح التربويّ وبناء نظريّة تربويّة إسلاميّة ومحاولات مهمة في التأسيس للمنهجية ودراسات ونقد التراث الإسلاميّ ودراسات قرآنيّة ودراسات في السنّة النبويّة وفي المقاصد الشرعية سدت -كلّها- فراغًا كبيرًا وارتقت بمستوى ما يطرح إلى مستويات أفضل ولولم تكن هذه الكتب والدراسات قد ظهرت لكان الفقر الفكريّ في المجالات الإسلاميّة أوسع وأكثر.

كما أثار المعهد في كثير من فروع الدراسات العليا قبل تسلمه إدارة الجامعة وخلاها وبعدها؛ والدليل على ذلك تصدر كثير من دراسات المعهد وجهود رجاله لقوائم المراجع في الأطروحات والرسائل الجامعيّة والدراسات الإسلاميّة.

كما يعتبر المعهد أول من شق الطريق إلى الدراسات المقاصديّة وشجع على انتشارها وتبنت المهتمين بها قبل أن تنشأ أيّة مؤسسات أخرى أكاديميّة وغير أكاديميّة للاهتمام بالموضوع.

ومع كل هذه الجهود المباركة الطيبة وسائر ثمارها فلقد كان بإمكان المعهد وبما أتاحه الله له من إمكانيات أن يحقق ثلاثة أضعاف ما تحقق أو أكثر لو أنّ رجال المعهد الأساسيين لم يشغلوا بكثير مما شغلوا به ولكن لا تثريب على أحد إن شاء الله - فلولا انشغال من انشغل بالاستثمارات لما أمكن تفرغ هذه المجموعة تفرغاً تاماً لهذا النوع من الأعمال ولا أمكنها تلبية الاحتياجات الماديّة لمؤسسة المعهد وأوجه نشاطه وفروعه ولكن مع كل ذلك يقول المتنبي:

ولم أر في عيوب الناس عيباً *** كنتقص القادرين على التمام

فالمعهد ورجاله وما حولهم الله إياه من نعم كانوا وما يزالون أكثر قدرة على إعطاء أكثر مما أعطوا. ونسأل الله أن يَمَكِّنَ الجيل الثاني من تلاميذ ما قد نكون قصرنا به أو فرطنا. ولذلك فإنّني قد أجهدت نفسي بالبحث عن أقرب مؤسسة في الولايات المتحدة مماثلة في الأهداف والمقاصد لأضعها بين أيدي إخواني وأخواتي وأبنائي وبناتي من الذين سيتشرفون بخدمة هذه المؤسسة بعدنا والعمل فيها فاخترت مؤسسة تقع في كاليفورنيا هي المؤسسة المعروفة بمؤسسة كريشنزم.

مؤسسة كريشنزم:

هناك تجربة نجحت فيما لم نحققه. هذه المؤسسة هي مؤسسة Kryishnzm foundation مقرها في سانت ياغو، زرتها وقضيت فيها عدة ساعات. اعتبرها المؤسسة النصرانيّة التي كانت تستهدف من منظور نصرانيّ ما استهدفناه نحن من منظور إسلاميّ، ولنقل: "نصرانيّة المعرفة" بدلاً من "إسلاميّة المعرفة" يعمل في مركزها الرئيس في ضاحية من ضواحي سانت ياغو حوالي خمسين أستاذاً باحثاً من حملة الدكتوراة كل منهم في تخصص بحيث لا يوجد فرع من فروع المعرفة الاجتماعيّة والإنسانيّة واللاهوتيّة إلا وفيه أستاذ أو أكثر مختصّ متفرغ كفو في الكتابة والتعليم والتقييم وإعداد الدورات التدريبيّة تركيزهم -كله- على رد الاعتبار للأفكار الدينيّة المتعلّقة بالخلق، ودحض كل ما بني على نظريّة دارون من

برامج وأفكار. وتعارض كل ما يتعارض والفكر والقيم الدينيّة المسيحيّة خاصّة من المنظور الكاثوليكي. يشتمل مكتب صغير لكل من أولئك الأساتذة على رقيّن أو أكثر من الكتب التي تهمّه. لديهم متحف صغير يمثّل قضيّة الخلق ومراحل تطور الخلق الأول والحياة على الأرض - كما هي في الكتاب المقدّس. يديرهم رجل لاهوتي مسن لا يرتدي الملابس الدينيّة. كانت ترتبط بهم في الفترة التي زرتهم فيها (١٦) ستة عشر جامعة كاملة في كليّاتها وأقسامها، كلها تطبق مقترحاتهم وأفكارهم وجميع البرامج التي ينتجونها. في الوقت نفسه تعطيهم ملاحظاتها حول ذلك من خلال ردود أفعال الطلاب وأولياء أمورهم وما يظهر عليهم من آثار لتلك البرامج ليراجعوها ويقوموا بتعديلها وفقا للهدف والغاية المحددين. كما كانت ترتبط بهم في تلك الفترة (ربما كانت سنة (١٩٩٢م)) ألفان وثلاثمائة مدرسة ثانويّة.

وكانوا يقدمون أيضا المشورة والنصائح المبرجة للأسر التي ترغب في ممارسة ما يسمّونه بـ "Home schooling" وهم أعداد كبيرة أذكر أنّ منهم حوالي ثلاثين ألف أسرة في ولاية إلينوي - وحدها. ولهم نشاط خارج الولايات المتحدة في تركيا واندونيسيا وغيرهما. عرضت عليهم عقد اتفاق للتعاون وتبادل الخبرات - آنذاك - فأبدوا تردّدًا، وعدوني بزيارتنا في فرجينيا فلم يفعلوا. لا شك عندي أنّ الأرقام التي ذكرتها قد تكون تضاعفت في الوقت الحاضر. لكنني - على يقين - أنّ تلك الصيغة كانت هي الصيغة المثلى لتحقيق ما كنّا نستهدفه منذ البداية لو أنّنا بدلنا ما كان ينبغي أن يبذل من جهود لدراسة واختيار أفضل المناهج والسبل لتحقيق أهدافنا وغاياتنا وتجاوزنا دوائر التأسيس ثم الدراسة إلى دائرة الدراسة ثم التأسيس، ولم نتجه مباشرة نحو المعروف المألوف "مركز بحوث". خاصّة بعد أن تأسّست مؤسّسة ماليّة وقفية ولم تعد الحاجات الماليّة تمثّل عائقًا. فهل فاتت الفرصة؟ أستطيع أن أقول: لم تفت إذا وجدت الإرادة الصادقة، والعزيمة المخلصة على تصفية ما هو قائم والتخلّص من سائر الأعباء، والانصراف فيما بقي من العمر الذي هو أشبه بالوقت الضائع عند الرياضيين لبناء مؤسّسة راسخة البناء ترثها الأجيال الطالعة وتطورها وتنميتها، وتنطلق بها بقيادة نحو عمر كاسولي وقطب سانو وأحمد طه ومازن هاشم وأمثالهم.

المهم: أن مشروع جامعة (I.I.U.M) إذا نظرنا إليه بالمقاييس العادية السائدة نستطيع أن نقول: إنه حقق قسطاً من النجاح مقبولاً حسب تلك المقاييس. وحين ننظر إليه بمقاييس أهدافنا وطموحاتنا فإنّ الجواب يختلف كثيراً.

وحين أدركت أنّ الآمال في I.I.U.M اعترضتها بعض العقبات فلم تستطع أن تكون مخبراً أو مختبراً أكاديمياً كبيراً متنوعاً لإسلامية المعرفة كما كنا نرجوا ونؤمل فقد ظننت أن تأسيس مؤسسة صغيرة تقتصر على الدراسات العليا فقط يمكن أن يجعلها أقدر على تحقيق أهدافنا دخلنا في تجربة **G.S.I.S.S**.

G.S.I.S.S

لقد قرّرت أن أقترح على مجلس الأمناء -أمناء المعهد- في جلسة عقدت في ماليزيا في خريف (١٩٩٣م) -على ما أذكر- فكرة تأسيس "جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية" تكون قناة داعمة للدراسات العليا في I.I.U.M. فقد صار لدينا ما يمكن أن نقدمه من المواد المؤسّلة في برنامج كهذا، وأن الأوان لإحياء مشروع الشهيد فاروقي، ويمكن للمؤسّسين أن تتعاونوا وتدعم كل منهما الأخرى. ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن وإذا بهذا المشروع يتعثر ويكاد ينتهي ليبدأ مشروع المجموعة الجديد جامعة الشرق في لبنان فهل ستتحقق الآمال وهل تكون جامعة الشرق البؤرة التي سوف تبلور المشروع الحضاري العمراني القرآني المطلوب؟! أرجو الله -تبارك وتعالى- أن يحقق ذلك إنه سميع مجيب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين^(١١).

(١١) انظر الملاحق المرفقة بالملف